٤٥
تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) السنة التاسعة ـ ١٥ صفر / ١٤٢٥ هـ

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

إقرأ في هذا العدد. . . .

إطفاء الفتنة . . . أسرة التحرير

أسباب ضعف المسلمين . . . سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز

الإجلال والتعظيم لجناب (صحابة) رسولنا الكريم . . .
الشيخ علي بن حسن الحلبي

إعلام المجتمع الإسلامي المعاصر والتحدي الحضاري . . .
الشيخ سليم بن عيد الهلالي

المال وأحكامه . . . الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

قراء مجاهدون . . . الشيخ محمد بن موسى آل نصر

فضل العلم ومعوقات تحصيله . . .
الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

مراجع الثورات ، وثورة المراجعات . . .
أسرة التحرير

الأصالة
أشعر أنها اسم على مسمى إن شاء الله
الشيخ العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله
مجموع فتاويه
(رقم ٦٣١٨)

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

الأصالة

٤٥

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة التاسعة — تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) — ١٥ صفر

الناشر : مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية — ١٤٢٥هـ

أسرة التحرير

الشيخ / د. محمد بن موسى آل نصر .... رئيساً

الشيخ / علي بن حسن الحلبي الأثري .... مديراً

الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي .... عضواً

الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان .... عضواً

اللجنة العلمية الاستشارية

الشيخ/ عبد المحسن بن ناصر آل عبيكان

الشيخ/ حسين بن عودة العوايشة

الشيخ/ عبد الله بن صالح العبيلان

الشيخ/ فتحي بن عبدالله الموصلي

عنوان المراسلة

الأردن

ص.ب (٢٦٩٩) - الرمز البريدي (١٣٧١٣)

تلفاكس : ٠٠٩٦٢-٥-٣٦١١٢٣٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :

www.albanicenter.com

البريد الإلكتروني :

albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

تطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم

الولايات المتحدة :

AL-QURQN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893-3768

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين ، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء في (الأصالة)

منير لكل مسلم مخلص داع على الحق ..

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً)
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً)
- أوروبا (٣٠ دولاراً)
- أمريكا (٥٠ دولاراً)

ثمن النسخة

الأردن (دينار)، الإمارات المتحدة (١٠ دراهم)، البحرين (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت (٨٠٠ فلس)، أوروبا (٤ دولارات)، أمريكا (٥ دولارات)

صاحب الامتياز والمالك : (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/ ٣/ ١٣٢٨) - رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٢/ ٢٢٠٣/ د)

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بـاللهِ مِـنْ شُـرُور أَنْفُسِـنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَشَـرَّ الأُمُـور مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَـةٌ، وَكُـلَّ بِدْعَـةٍ ضَلالَـةٌ، وَكُـلَّ ضَلالَـةٍ فِـي النَّـار.

محتويات العدد

. فاتحة القول: إطفاء الفتنة

أسرة التحرير ٥

. تأملات قرآنية: لماذا الجدار الفاصل؟ ولم هذا الألم الحاصل؟

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ٧

. جيل القدوة: الإجلال والتعظيم لجناب (صحابة) رسولنا الكريم

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي..... ١٥

. ثمار البدع: مبادرة كشفت عن أصول صاحبها

الشيخ أبو عبدالله فتحي بن عبدالله الموصلي ٢٤

. أمام التحديات: إعلام المجتمع الإسلامي المعاصر والتحدي الحضاري (١)

الشيخ أبو اسامة سليم بن عيد الهلالي ٣٠

. مسائل فقهية: المال وأحكامه (١)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٣٤

. تصفية وتربية: أسباب ضعف المسلمين أمام عدوهم ووسائل العلاج لذلك (٣)

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٤٠

. من علوم القرآن: قراء مجاهدون

الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ٤٥

. كلمات في الدعوة والمنهاج: مهلاً . . . يا دعاة التشغيب (٢)

أبو الحارث نادر بن سعيد التعمري ٥٢

. **العلم فضله وشرفه:** فضل العلم ومعوقات تحصيله (٢)

فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ٦١

. **ردود وتعقبات:** قصف الرعد في نسف أغلوطات محاضرة (أما بعد) (٢)

أبو المنذر أحمد بن جيلان ٧٠

. **متابعات:**

نشاطات «مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية» ٧٨

. **مسك الختام:** مراجع الثورات، وثورة المراجعات

أسرة التحرير..... ٨١

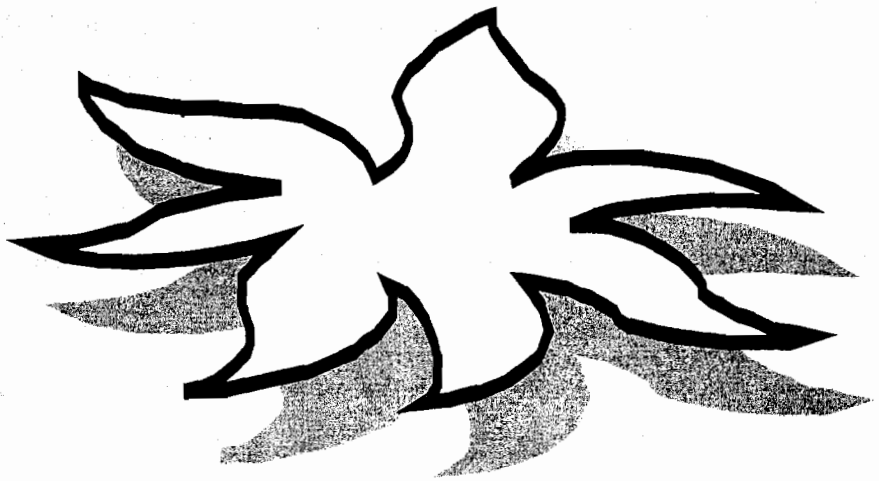

• بقلم: أسرة التحرير

إطفاء الفتنة

يعيش كثيرٌ من الشباب -بعامة-، وطلبة العلم منهم بخاصة في أجواء مضطربة، مليئة بالتنابز والتباغض والتشرذم والتمحور: حول أشخاص أو حول مسائل من جهة، مع الانفلات والتضييع من جهة أخرى! ويا ليت الأمر أنِ اقتصر على هذا الحدُّ: لهان الخطب، لكنه تعداه إلى عَقْد سلطان الولاء والبراء، والحب والبغض على ذلك! مع مصاحبة الغلو والتهور -فيه-.

ولقد أصبحت الدَّعوة السَّلفيَّة المباركة تشكو إلى الله من هذا التفرُّق، الذي تُصاحبه الإقليميَّة تارة، وحظ النفس والهوى تارة أخرى، والعمل على إبراز أشخاص معينين، وإسقاط آخرين تارة ثالثة.

وقد برزت هذه السوالب في وقت عصيب، وُضعت فيه الدعوة السَّلفيَّة في قفص الاتِّهام، ورُمي أبناؤها والداعونَ إليها بالتَّشدد والتَّهور والإرهاب:

وهي -في الحق والحقيقة- دعوة الأمن والأمان والأيمان، وأبناؤها -ودعاتُها- أعرف الناس بالحق، وأرحمهم بالخلق.

ولسنا -الآن- بصدد تحليل وجود تلك الظاهرة -مع أهميَّة ذلك ولكنَّها -والله- سنَّة الله التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، «أنَّ الغرس والزرع النافع قد أجرى الله -سبحانه- العادة أنه لا بدَّ أن يُخالطه دَغَل ونبت غريب ليس من جنسه، فإنْ تعاهده ربُّه ونقَّاه وقلعه كَمَلَ الغرس والزرع، واستوى وتمَّ نباتُه، وكان أوفر لثمرته، وأطيب وأزكى، وإنْ تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع، ويكون الحكم له، أو يُضعِف الأصل، ويَجعل الثمرة ذميمة، وناقصة بحسب كثرته وقلَّته.

ومن لم يكن له فقهُ نفسٍ في هـذا، ومعرفة به، فاته ربح كبير وهو لا يشعر.

فالمؤمن دائماً سعيُه في شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم»[1].

ولا يشك العارفون وأصحاب البصيرة من أهل العلم وطلبته ممن لهم قدم راسخة، وفهم ثاقب: أنَّ الدَّغَل والنبت الغريب المتسلِّق حول دعوتنا السلفيَّة المباركة كثر في هذه الأيام، وكاد أن يُضعِف الأصل؛ حتى وصل إلى بعض الناس -ممن هم كالذباب الذي لا يسقط إلا على الجروح- فباض فيهم وفرَّخ، وباض في آخرين ولَّما يُفرِّخ، وأثَّر في فئات أُخر تأثيراً -ما- حتى أصبحت هذه الثمار ذميمة دَميمة، ولا قوة إلا بالله!

وبات من الواجب الكفائي القيامُ بتنقيته، وما علق بهذه الشجرة -منه- مؤازرةً ومعاضَدَةً لجهود ثلَّة من العلماء الرِّبانيين الذين كشفوا ألاعيب التكفيريين والحزبيين، وتمويهات البدعيين والمُشغِّبين، وصار من الضروري تعريةُ وفضحُ من لَبِس لبوس (السَّلفيَّة)، وغطَّى سوآته بها، وهي منهم -واللهِ- براء.

وكان -للأسف- بعض هؤلاء بطانةً لبعض المشايخ الأفاضل، ممن لهم قدم صدق، وزمن سبق، وظهرت آثار بعضهم عبر (الإنترنت) بأسماء مستعارة(!)، ورموز وألقاب غامضةٍ!! فاقوا فيها أصحاب الدهاليز المظلمة الملتوية، وخرجوا عن الجادة البيضاء النقيَّة، مهيع العلماء، وسبيل الحكماء.

فوصيتنا لسائر إخواننا من طلبة العلم في أرجاء المعمورة:

ملازمة التقوى والخشية من الله -سبحانه وتعالى- والمضيّ قُدُماً نحو طلب العلم الشرعي، ونشر الدَّعوة السَّلفيَّة بالتي هي أحسن للَّتي هي أقوم، والابتعاد عن العوائق والقواطع التي تحول دون ذلك، وعدم الإصغاء لمن هم دون أهليَّةِ الحكم على العلماء وطلبة العلم المعروفين، وردِّ الأمر إلى أهله، والعمل من وراء تقريرات علمائنا، وعدم أخذ أخبار المجاهيل، أصحاب المقالات المسعورة، والتثبُّت من صحة الأخبار ودقَّتها، والله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، وإنزال الناس منازلهم، وتقدير الأخطاء والمفاسد بميزان الحق والعدل، من غير إفراطٍ ولا تفريط، وهذا مِن أبرز سمات الدّعوة السلفيّة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ٣٠٣).

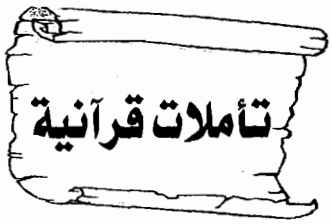

لماذا الجدار الفاصل ؟ ولِمَ هذا الألم الحاصل؟

• بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسيّ

لماذا الجدار؟!!

لماذا جدار الفصل الذي تبنيه اليهود -اليوم- على أرض فلسطين من بلاد الشام؟

لماذا الجدار الذي هو بطول (٦٢٠ كم)، والذي يعزل الضفة الغربية من فلسطين من جهاتها الشمالية والشرقية والجنوبية؟!!

لماذا هذا الجدار والذي يتفرع منه جدار ثانوي يعزل مدنا وقرى فلسطينية -أخرى- مثل (طولكرم) وبعض قراها؟!!

لماذا الجدار الذي يقضي على (٨٣٢ كم مربع) من مساحة الضفة الغربية البالغة (٥٨٥٥ كم مربع) -يعني سُدس مساحتها-؟

لماذا الجدار الذي يعزل (١٢٦) تجمعاً فلسطينياً؟

لماذا الجدار الذي يضم (١٠٢) مستعمرة يهودية مبنية على (٩٩,٥ كم مربع) من أراضي الضفة الغربية، ويلحقها بما يسمى بدولة إسرائيل؟!!

لماذا هذا الجدار بالذات وقد سبقه جدار وجدار وجدار ...؟!!

الإجابات على هذه الأسئلة المتعددة متعددةٌ يمكن مطالعتها على صفحات الجرائد والمجلات، أو متابعتها في الإذاعات والفضائيات!

لكن يبقى السؤال هو السؤال - وكأني بمطالعة صفحات الجرائد والمجلات، ومتابعتي للإذاعات والفضائيات، لم أجد الجواب! -:

لماذا الجدار الفاصل، ولم هذا الألم الحاصل؟!

و الجواب الواحد، الذي يغفل عنه الكثير، أو يتغافل عنه الكثير -وهو فعل الإنسان حين يختار طريق الضلال-:

إن هذا الجدار يذكرني -من جهةٍ- بقصة خلق آدم واستكبار إبليس، ويذكّرني بقصة التاريخ التي عاشتها الأرض المقدسة وتعيشها إلى قيام الساعة، وكأن لهذا الجدار صرخة مدوية لا يسمعها إلا العالمون.

لقد سبق هذا الجدار عبر التاريخ جدر مثله فكّكها الحق وأعاد للأرض المقدسة بالذات مجدها وعزها، وعادت تنبض بالحياة، عادت تنبض بـ (لا إله إلا الله)، عادت للأرض المقدسة هيبتها وجمالها ورحيقها، عاد الهدوء وعاد السلام، فالأرض المقدسة أرض المسجد الأقصى، أرض الأنبياء والرسل، ومنبر إعلاء كلمة الله -كلمة الحق-، فهي أرض الفاتحين المصلحين، وهي أرض السلام، وإذا كان الرُّسل قد بُعثوا مِن أجل إخراج النَّاس مِن الظلمات إلى النور، فمعنى هذا أن الرجوع إلى هديهم يعني الخروج مِن المآزق إلى الفرج المُشرق.

ومِن سنة اللهِ -تعالى- على هذه الأرض المقدسة -وقد أخبر عنها التاريخ- أن يكون الابتلاء للنَّاس مِن أجل أن يرجعوا إلى دين الله، فإذا آثروا الاعوجاج جاء ما هو أسوأ.

أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» عن ابْن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّه عَنْه ـ قَالَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وطه، والأنبياء، إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلادِي.

وقوله: «من العتاق الأول» أي: مِن النَّفائس القديمة.

والعتاق : جمع «العتيق» وهو القديم الكريم النفيس، قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٣٨٨): «ومراد ابن مسعود بـ (مِن تِلادي): أنَّهن مِن أوَّل ما تعلَّم من القرآن، وأن لهن فضلاً لما فيهن مِن القصص وأخبار الأنبياء والأمم»، لذلك ثبت عنه ﷺ كما قالت عائشة فيما أخرجه الترمذي، وأحمد: «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزّمر وبني إسرائيل»، وقال شيخنا الألباني: «صحيح».

وفي حادثة الإسراء خبر مهم صحيح وهو صلاة النبي ﷺ إماماً في النبيين والمرسلين في المسجد الأقصى، فالمعنى المستفاد مِن هذا الخبر هو بركة الدَّعوة إلى التوحيد، وبركة المكان، لذلك فمن

نفائس هذه السورة أنْ ذَكَرَ الله في مطلعها معجزة الإسراء بالنبي محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى الذي باركه وبارك ما حوله ـ يعني بلاد الشام ـ.

ولما كان المسجد الأقصى محل إقامة كثير مِن أنبياء بني إسرائيل، فهو محل هجرة أبيهم إبراهيم ـ عليهم السلام ـ الذي مِن نَسْلِه إسحاق ومن ورائه يعقوب ـ إسرائيل ـ، وهو محل إسراء محمد ﷺ الذي هو مِن نسل إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، فقد جاء في السورة ما يُبيّن وحدة الرسالات الربانية للناس، ومِن أمثلة هذه الوحدة ذِكْر بعض العناصر المادية، والمعنويّة، العقديّة، والتّشريعية، والخُلُقية الجامعة بين رسالة موسى -عليه السلام-، المطالَب بها بنو إسرائيل ـ تلك الأمة التي سبقت أمة محمد ﷺ -حتى إنهاء العمل بها ببعثة محمد ﷺ-، وبين الرسالة الخاتمة، رسالة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولما كانت بنو إسرائيل أمة سبقت أمة محمد ﷺ فلا بد أن يقتدى فيها بالأمثال، لذلك جاءت الكثير مِن الأخبار مِن خلالها مِن أجل الاعتبار، فلم يمنع الرسول ﷺ الحديث عن بني إسرائيل، إذا كانت هذه الأخبار مما يؤيِّدُهُ الشرع ويستقيم معه الفهم فقال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، قال مالك: «المراد جواز التّحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم كذبه فلا»، نقله في «الفتح».

ومن هذه الأخبار الصحيحة:

عَنِ الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ؟ فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ (بني إسرائيل) فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ؛ أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ

بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَـذِهِ دَارِي وَهَـذَا عَمَلِي فَـاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَـيَّ، فَكَـانَ يَعْمَـلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَـى أَنْ يَكُـونَ عَبْـدُهُ كَذَلِـكَ. وَإِنَّ اللَّـهَ أَمَرَكُـمْ بِالصَّلاةِ؛ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاتِـهِ مَـا لَمْ يَلْتَفِـتْ. وَآمُرُكُـمْ بِالصِّيَـامِ فَـإِنَّ مَثَـلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَـةٍ مَعَـهُ صُـرَّةٌ فِيـهَا مِسْـكٌ فَكُلُّـهُمْ يَعْجَـبُ أَوْ يُعْجِبُـهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْـدَ اللَّـهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَـةِ فَـإِنَّ مَثَـلَ ذَلِـكَ كَمَثَـلِ رَجُـلٍ أَسَـرَهُ الْعَـدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِـهِ وَقَدَّمُـوهُ لِيَضْرِبُـوا عُنُقَـهُ، فَقَـالَ: أَنَـا أَفْدِيـهِ مِنْكُـمْ بِـالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْـهُمْ. وَآمُرُكُـمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِـكَ كَمَثَـلِ رَجُـلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَـى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَـهُ مِنْـهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّـيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ صلـى الله عليـه وسلم: وَأَنَا آمُرُكُـمْ بِخَمْسٍ اللَّـهُ أَمَرَنِـي بِـهِنَّ: السَّـمْعُ، وَالطَّاعَـةُ، وَالْجِـهَادُ، وَالْـهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَـةُ، فَإِنَّـهُ مَـنْ فَـارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَـامَ؟ قَـالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَـامَ، فَـادْعُوا بِدَعْـوَى اللَّـهِ الَّـذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

أخرجـه أبـو يعلـى في «المسـند»، وفي «المفاريد»، وأحمد، وأبو داود الطيالسـي، وابن طهمان في «مشيخته»، وابن خزيمـة في «صحيحـه»، وعبـد الـرزاق في «المصنـف»، والحـاكم، والـترمذي، وغيرهم، من طرق عـن زيـد بـن سـلام (ابن ابي سلام): أن أبا سلام وهو ممطور الحبشي حدثه أن الحارث الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: فذكره.

والشاهد علـى مـا تقـدم مـا ثبـت في «سنن أبي داود»، وأحمد، عن عبد الله بن عمـرو، أنـه قـال : «كَـانَ نَبِـيُّ اللَّـهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ؛ مَـا يَقُومُ إِلاَّ إِلَى عُظْمِ صَلاةٍ».

قال في «النّهاية»: عظم الشيء أكـبره، كأنه أراد: لا يقوم إلا إلى فريضة.

قلـت: وفي معنـى الحديـث مـا يبـين عظيم تتبع أخبار بني إسرائيل لما فيها مِـن فائدة مِن أجـل اعتبـار مـا في قصـص بـني

إسرائيل مما يعين من انتهج منهج السلف الصالح في الفهم، من زيادة في فهم الدين والواقع، لأن كثيراً مما وقعت فيه بنو إسرائيل تقع فيه أمة محمد، لذلك تطلَّب الأمر زيادة في تتبُّع فهم ما كانوا عليه.

ومِن ذلك ما حذَّرنا منه رسول الله ﷺ؛ فقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن النبي ﷺ، أنه قال : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الذين مِنْ قبلكم شبراً بشبر، أو ذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه»، قالوا اليهود والنصارى؟ قال: «فمن!؟ ».

ومما قاله -أيضاً- وهو صحيح: «افترقت اليهود على إحدى أواثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة...».

وفي السنةِ الكثيرُ مِن الوقاية الناجعة النافعة لأمة محمد في أخبار بني إسرائيل مما يعين أمة محمد ﷺ أن لا تسلك في طريقتها في العبادة ما سلكته بنو إسرائيل مِن انحرافات حتى أدى ذلك في النهاية بسبب انحرافاتها وبدعها أن خرجت عن دين الله -تعالى- الإسلام-، واتبعت الأهواء والبدع، والخرافات والضلالات، وزاغت عن الفطرة السليمة، حتى صاروا ـ كما نرى ـ يهوداً مغضوباً عليهم، ونصارى ضالين، خارجين عن ملة الإسلام، ملة إبراهيم، ملة موسى وعيسى ـ عليهم السلام ـ، فصدق فيهم قول العلماء: «البدعة بريد الكفر».

وتأكيداً على ما سبق؛ فإن الله -تعالى- أنزل على موسى التوراة ـ وهو كتاب عظيم فيه الهدى والخير والرشاد وهو عمدة كتب بني إسرائيل، ومعلوم أن الله -تعالى- قد نوَّه بذكر محمد ﷺ في التوراة، يشهد على ذلك ما جاء من قوله في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

من أجل ذلك كان الاقترانُ في الذِّكر والأهمية، أي: ذِكر أمة بني إسرائيل، وذِكر أمة محمد، واجتماع الأنبياء والمرسلين جملة واحدة يؤمهم ﷺ في المسجد الأقصى -محل إقامة الأمة

السابقة-، وأهمية ما كان في التّوراة التي تناولته أيادي المبتدعة الفاسقين، والكفرة الضالين، من بني إسرائيل حتى أخرجوه عن الحق الذي نزل به جبريل، وبذلك بنوا جداراً فاصلاً بين الحق والباطل واختاروا الباطل عن عمد وإصرار.

فكان لا بُدَّ لأمة محمد من الاعتبار مِن هذه الحوادث المؤلمة التي ألَّمت ببني إسرائيل حتى أخرجتهم عن دائرة الإسلام التي كانوا عليها، ومن هنا نأخذ العبرة، لذلك قال الله -تعالى- في السورة عقب بيان عظم حادثة الإسراء: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء].

فاستمر كتاب الله التوراة هدى للصالحين مِن بني إسرائيل حتى هجره خلفهم الأخير، واتبعوا أهواءهم وبدعهم وشهواتهم.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «كثيراً ما يقرن الباري بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى ﷺ وبين كتابيهما وشريعتيهما، لأن كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتهما أفضل الشرائع، ونبوتيهما أعلى النبوات، وأتباعهما أكثر المؤمنين».

والشاهد على هذا الاقتران -أيضاً- ما قاله الله -تعالى- في سورة الإسراء -سورة بني إسرائيل-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾.

فدلَّ الله -تعالى- على ما في كتابه العزيز مِن عظيم الخير والهدى، فقوله: (أَقْوَمُ) أي: أعدل وأعلى، من العقائد، والأعمال، والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن، كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم في جميع الأمور.

فلما كان ما في القرآن مِن الخير والهدى، ومِن خيره وهداه ما قصَّه الله علينا مِن فساد بني إسرائيل فلأجل أن نعتبر ونتعظ، وأن لا نخالف الرسل فنكون تحت طائلة المسؤولية التي لا عذر فيها لأحد فيما شرعه الله مِن الجزاء الرباني، فقال في السورة: ﴿ مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى

لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

ومن عدل الله ورحمته أنه لا يعذب حتى يرسل رسولاً ليقيم الحجة.

ثم قابل الله -تعالى- في السورة بين مَن أراد العاجلة وبين مَن أراد الآخرة، بين مَن سقط في الابتلاء وبين مَن نجح في الابتلاء.

لذلك بيَّن الله -تعالى- في السورة مادة الابتلاء والاختبار في رحلة الحياة الدنيا.

ثم عالج الله -تعالى- موقف الكفار مِن الإيمان بربهم، ومِن سماعهم للقرآن، فالناس في رحلة الامتحان معرَّضون للفتن إذا هم تركوا طاعة الله -تعالى-، فالفتن -عادةً- من عظيم الابتلاء التي لا يخرج منها سالماً إلا المؤمن، لذلك جاء التحذير من الله -تعالى- في سورة الأعراف مِن أكبر الفتن، وهي فتنة الشيطان فقال -تعالى-: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وكانت حادثة الإسراء بما فيها مِن أخبار مهمة وما صاحبها من عروج النبي ﷺ ورؤيته ما أراد الله -تعالى- إطلاعه عليه ابتلاء للناس على صدق محمد ﷺ، كما كانت الآيات التي يرسلها الله -عز وجل- إلى الأولين تخويفاً؛ لذا قال الله -تعالى- في السورة: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

فمدار سورة بني إسرائيل -كما هو واضح- على بيان ما في رحلة الامتحان في الدنيا مِن أوامرَ شرعها الله -تعالى- لحكمة، ونواهٍ شرعها الله -تعالى- لحكمة، مِن أجل أن يثبت المخاطب بكلام الله -تعالى- جدارته في الابتلاء حين سماعه

بهذه الشريعة، أو إيثاره الدنيا على الآخرة، وهذه الرِّحلة دخلت فيها الأمم السابقة ابتداء مِن قوم نوح، فنوحٌ -عليه السلام- هو أول نبي أرسل لأن قومه كانوا أول مَن أشرك بالله -تعالى-، وانتهاء بأمة محمد ﷺ التي يجب عليها أن تَعتبر.

ولا شك أن أقرب الناس لها في الاعتبار هم بنو إسرائيل الذين نزل على نبيهم موسى التوراة كتاب هدى، فضلَّ خلفهم الأخير وسقطوا في الابتلاء.

ومِن ثم امتُحنت طلائع أمة محمد بحادثة الإسراء تلك الرحلة مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومِن ثم عروجه إلى السماوات العلى وعودته إلى المسجد الحرام، والتي صلى أثناءها إماماً في الأنبياء في المسجد الأقصى.

فتبين أن الأنبياء دعوا إلى الله -تعالى- مِن مشكاة واحدة، وأن رسالتهم واحدة، وأن ابتلاء من أرسلوا إليهم واحد، ألا وهو توحيد الله -تعالى-، وطاعته وعبادته على الوجه الذي أمر، ففي التوحيد كل الهدى، وأنهم دعوا إلى نبذ الشرك، وترك المعاصي، ففي الكفر كلّ الشقاء، وحذروا مِن الوقوع في فتن إبليس الذي توعد ذرية آدم أن يضع اللُّجُمَ في أحناكها، ويقودها حيث يريد مِن معصية الله -تعالى-، فناسب أن يأتي الله -تعالى- بقصة خلق آدم واستكبار إبليس في السورة ليحذر مِن عظيم فتنته المؤدية إلى الشقاء في الدنيا والآخرة بعد أن أطلق الله -تعالى- له العنان مما طلبه من غواية الإنسان، دون أن يكون له على الإنسان سلطانٌ يمنع إراداته الحرة مِن اتخاذ القرار السليم في توحيد الله -تعالى- وطاعته وعبادته على الوجه الذي أمر به وبيَّنه النبي محمد ﷺ، وكل هذا نزل في القرآن العظيم، والقرآن مع ما فيه مِن تكاليف ربانية إنما هي مِن باب الابتلاء، لا من باب الشقاء، فما نزل القرآن على محمد ليشقى، بل ليسعد وتَسعد معه -به- الإنس والجن أجمعون.

فهلا تفطن المسلمون اليوم للإجابة على السؤال وهو عنوان المقالة:

لماذا الجدار الفاصل؟ ولماذا الألم الحاصل؟

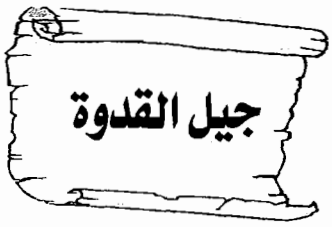

الإجْلالُ والتَّعْظيم
لِجَنابِ (صَحابةِ) رسُولنا الكريم

• بقلم: الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

سبق أن ذكرتُ في كتابي «التنبيهات المتوائمة في الردّ على (رفع اللائمة)...» (ص٤٠٣) -قبلَ أكثرَ من عامٍ- كلمةً جامعةً قالَها أحَدُ العُلماء المعاصرين -سدَّده اللهُ- في حُكم (الطعن في واحدٍ من الصحابةِ)؛ نصُّها :

«أطبق أهلُ المِلَّةِ الإسلاميَّة على أنَّ الطعن في (واحدٍ) من الصحابةِ -رضي الله عنهم- زندقةٌ مكشوفةٌ».

وعلّقتُ -ثمَّةَ- في الحاشيةِ- قائلاً- ردًّا على بعضِ المتربِّصين المترصِّدين - هداهم اللهُ -أجمعين-:

(ومن أشنع ما (بَلَغني) -وأبشعِهِ!- ما ادَّعاه (بعضهم) عليَّ -أعوذ بالله- من أنني (أطعن!!!) في الصحابة -رضي الله عنهم-، وسخط الله على مُنتقصيهم-؛ (مستنبطاً) دعواه -هذه- وبانيَها- على قولٍ لي في رسالتي «إحكام المباني» (ص٧-سنة ١٤١٢هـ!!!)؛ هذا نصُّه:

«أنَّ الأصل في التشريع هو ما ورد في القرآن الكريم، أو الأحاديث النبويَّة الصحيحة؛ فهُما أصل التشريع، ومنهما

تُستقى الأحكام الشَّرعيّة، فلا شرع إلا ما ورد فيهما.

إذا عرفنا ذلك: نعرفُ أنَّ ما ورد عن الصحابة أو التَّابعين وصحَّ عنهم، ينبغي أن يُنظرَ فيه من وجهين:

الأول: إذا كان بفعله مُتابعاً للكتاب أو السنَّة: فهو مقبول.

الثاني: إذا كان بفعله مُخالفاً للكتاب أو السنَّة -أو محدثاً أمراً-: فهو لا يُقبل منه؛ لأنَّ التشريع -كما قرَّرنا- من أمر الله -سبحانه-، أو أمر رسوله ﷺ؛ إذ الشريعة كاملةٌ لا تَحتمل زيادة أو نقصاً، كما قال -تعالى-:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]».

أقول: هذا آخر كلامي -ثمّةَ- فأين هذا التحقيق العلمي العالي، من ذلك الادِّعاء الباطل القالي؟!

﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١٦]...

... ثمَّ إني أبرأ إلى الله -تعالى- مِن كلِّ ما نَبَا به لساني، أو طغا به قلمي؛ ممّا يُخالف بعضُ ظاهِره شيئاً من الحقِّ -صغيراً كان أم كبيراً-.

ورحم الله مَن أهدى إليَّ عيوبي؛ دون شماتةٍ وقحةٍ!! ومن غير تربُّصٍ ماكرٍ!!!

وأكرِّرُ -الليلَ والنَّهار، السِّرَّ والجِهار- دعاء النبي المُختار ﷺ: «ربِّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري -كُلِّه-، وما أنت أعلم به منِّي، اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي وجهلي وهزلي، وكلُّ ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المُقدِّم وأنت المؤخر، وأنت على كلِّ شيءٍ قدير».

وأضيفُ -الآن- بياناً علميّاً تفصيليّاً؛ نقلين عن عالمين جليلين؛ أحدهُما: متقدّم، والآخر: متأخّر:

أمّا الأول: فما نقله الإمام البيهقي في كتابه «المدخل» (ص١٠٩) عن الإمام الشافعي -رحمهما الله-: تحت

باب (ذِكر أقاويل الصحابة إذا تفرّقوا) وهو قولُهُ:

«أقاويلُ الصحابةِ -إذا تفرَّقوا فيها- نصير إلى ما وافق الكتابَ والسنةَ، أو الإجماع -إذا كان أصحَّ في القياس-، وإذا قال الواحدُ منهم القولَ لا يُحفَظ عن غيره منهم فيه له موافقةٌ ولا خلافٌ: صرتُ إلى اتِّباع قولهِ إذا لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا شيئاً في معناه يُحكم له بحكمه أو وُجد معه قياس».

ونقله -مُقِرّاً ومؤيّداً- الإمام ابن القيِّم -رحمه الله- في كتابه القيِّم «إعلام الموقّعين» (٥/ ٥٥١).

وأما الثاني: فهو كلامُ شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في كتابه «أحكام الجنائز» (ص٣٠٦- طبع مكتبة المعارف) -عند كلامه عن البدعة - وأنواعها- فكان مِن ضمنها:

«كُلُّ أمرٍ لا يُمكن أن يُشرَعَ إلا بنصٍّ أو توقيفٍ، ولا نَصَّ عليه، فهو بدعةٌ إلا ما كان عن صحابيٍّ، تكرَّر ذلك العَمَلُ منه دون نكيرٍ».

وأقولُ -اليومَ-:

سألني غيرُ واحدٍ عن كلمةٍ نُسِبت إلى فضيلة الأخ الشيخ سليم الهلالي -حفظه الله-، وتناقَلَها غيرُ واحدٍ(!)-مِن بَلَدِيِّينا-؛ مُتوهِّمين منها -أو فاهمين عنها- أنَّها تَحملُ طعناً وسبًّا(!) في بعض أصحاب رسول الله ﷺ -رضي الله عنهم-، وغَضِب اللهُ على مُنتقصِهم-؟!

فتعجَّبتُ لذلكَ أشدَّ العجب! واستغربتُه أعظَمَ استغراب! لِمَا أنا على يقينٍ -قاطع- منه: مِن أنَّ فضيلة الشيخ سليم الهلالي -أيّده الله- داعٍ سلفيٌّ مشهور، وطالبُ علمٍ سُنِّيٌّ معروف، ومِن أصحاب الأقلام المسدَّدةِ -ولله الحمد- في نُصرةِ منهج السلَف الصالح، وعلى رأسِهم الصحبُ الأخيار -رضوان الله عليهم-؛ وأنَّه (يكاد) يستحيلُ صدورُ مثل ذلك -أو قريبٍ منه- عنه -نفع اللهُ به-؛ لأنَّ هذا مِن الأصول المقرّرات؛ و(توضيح الواضحات مِن أصعب المشكلات)...

فتطلَّبتُ الموضعَ الذي استنبط(!) منه أولئك النفرُ -هداهم اللهُ- دعوى (السببِ) -هذه-؛ فرأيته -فيما زعموا وذكروا- كتابَه «الجماعات الإسلاميّة في ضوء الكتاب والسنَّة»، وذلك في (ص٢٦-٢٧) -منه-!

وقد كان كلامُهُ -وفقه الله- متعلّقاً بشرح حديثِ النبي ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأُمم؛ كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها...» إلى آخر الحديثِ.

فكان منه -جزاه اللهُ خيراً- استنباطاتٌ علميَّةٌ تتضمَّنُ ربطاً لهذا الحديثِ الشريف بواقع الأُمَّة المعاصر؛ فذكر -مِن ضمن ما ذكر مِن فوائدَ-:

«الفائدة السابعة: عناصر قوة الأمة الإسلاميّة ليس في عَددها وعُددها، وخيلها وخُيَلائها، وَرَحِلها ورجالها، بل في عقيدتها ومنهجها؛ لأنَّها أمَّة العقيدة، وحاملةُ لواء التوحيد.

ألم تسمع قول رسول الله ﷺ يُجيب السائل عن العدد: «بل أنتم يومئذٍ كَثير»؟

وتأمل درس حُنين تَجده ماثلاً في كلِّ عصر: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة:٢٥].

الفائدة الثامنة: أنَّ الأمة الإسلامية لم يعُد لها وزنٌ بين أمم الأرض كما أخبرَ رسولُ الله ﷺ: «ولكنكم غُثاء كغُثاء السيل».

وهذه الدلالة تُلقي بظلالِها الآتية:

١- أنَّ الغثاء الذي يَحمله السَّيلُ العَرِمُ يسيرُ معه محمولاً مع تيّاره، وهكذا أمَّةُ الإسلام -إلا من رحم الله- تجري مع تيار أمم الكفر حتَّى لو نعق بهيئة «اللَّمم» غُرابٌ، أو طنَّ في مجلس «الفتن» ذبابٌ: لخرُّوا صمّا وعمياناً، وجعلوه كتاباً محكماً وتبياناً.

٢- أنَّ السيل يَحمل زبداً رابياً لا ينفعُ الناس، وكذلك أمَّة الإسلام لم تعُد -إلا من رحم الله- تُؤدّي دورها الذي به تبوَّأت مقدمة الأمم، وهو الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.

٣- أنَّ الزبد سيذهبُ جفاءً، ولذلك سيبدِّلُ الله مَن تولّى، ويُمكّن للطائفة المنصورة التي تنفع الناس في الأرض.

٤- أنَّ الغُثاء الذي يَحمله السَّيلُ خليطٌ من قاذورات الأرضِ وفُتاتِ الأشياء، وكذلك أفكارُ كثير من المسلمين تقميشٌ من زُبالة الفلسفاتِ، وحُثالةِ الحضاراتِ، وقُلامة المدنيَّاتِ.

٥- أنَّ الغُثاء الذي يَحمله السَّيلُ لا يُدرَى مصيرُه الذي يَجري إليه باختياره، فهو كمن حفر قبره بظُفره، وكذلك أمَّة الإسلام -إلا مَن رحم الله- لا تَدري ما يُخطِّط لها أعداؤُها، ومع ذلك فهي تتبعُ كلَّ ناعقٍ، وتَميلُ مع كلِّ ريح».

... هذا تمامُ كلام فضيلة الشيخ سليم الهلالي -المشار إليه- بحروفهِ ..[1]

فلستُ أدري -واللهِ- كيف استنبط (!) ذلك المُتَمَجْهِدُ الذكيّ -غيرُ الزكيّ- دعوى (السببِّ) -تلك!- مِن هذا الكلام العلميِّ الدقيق؟!! بل أين فيه -أو: منه- ادِّعاء الوصف بـ(الغُثائية) الَّذي رُميَ به فضيلتُه -مِن خلالِ كلمتهِ هذه-؟!!

نعوذُ باللهِ من كُلِّ غِرٍّ سفيه، ومِن الجهلِ وذويه...

ولقد جاءني -وهاتفني!- بعضُ الناس(!) مِمَّن تأثَّروا بدعوى ذلك المُبطل -الجريء!- ولا أدري كيف!!-، يسألونني رَأيي في كلامِ الشيخ سليم -المتقدِّم إيرادُهُ-؟!

فكان جوابي الَّذي وضَّحتُهُ، وكرَّرتُهُ، وبيَّنتُهُ -ديناً نَديُنه، وحقًّا نرتضيه، ودفاعاً عن الحقِّ وأهلهِ، وحامليه- قولي:

إذا صَدَرتْ مثلُ هذه العبارةِ -حتى لو كانت بالصورة المشوَّهةِ التي نَقَلَها ذلك الدّعيّ المُدَّعي على حَسَبِ جهله وتصرِّفِه!- مِن طالبِ علمٍ -أو عالمٍ- صِفَتُهُ أنّه:

أ- سُنِّي سَلَفيّ.

ب- مُعظِّم لجناب الصَّحابة الكِرام -رضي الله عنهم-.

---

(١) وقد ردَّ عليه بتفصيل أخونا الشيخ سليم الهلالي -حفظه الله- في كتابيه «بدائع الحكم»، و «الجماعات الإسلامية»، تجد فيه القول الرطيب في قطع جهيزة قولَ كلّ خطيب.

ج- مُتأوِّل لفظَ الحديثِ -أو بعضَ معانيه- على هذا المعنى.

فـ:

لا يُعَدُّ هذا القولُ -على خطئه وغلطه!- ممَّن هذه صِفَتُه- سَبَّاً-؛ فضلاً عن أن يكون طعناً؛ وإلا كان ذلك الادِّعاء عليه -هكذا- فتحاً لبابٍ خطيرٍ مِن سوءِ الظنِّ، وتصيُّد الأخطاء، وتلقُّط المواقف -بين أهل السُّنَّة فيما بينَهم-؛ لِيَكونَ هذا سبيلاً مُشْرَعاً لتضخيم الخلاف، وتكبير الهُوَّة، وتعظيم الفُرقةِ...

وهذا أمرٌ لا يرتضيهِ عاقلٌ؛ ولا أقول: عالِمٌ!

ومع ذلك:

فالأصل الذي لا محيدَ عنه -إجلالاً لمقام الصحابةِ، وتعظيماً لجنابهم الكريم- مجانبةُ هذه الألفاظ، والنَّأْيُ بالنفس عن الوُرود لهذه المضائق؛ فَجَنابُ الصحابةِ عظيم، ومكانتُهم عالية، ومنزلتُهم في القلوبِ جليلة -رضي اللهُ عنهم، وقاتل اللهُ منتَقصيهِم-.

وعليه؛ فإنَّ مثلَ هذه العبارةِ الصادرةِ عمن هذا حالُهُ -بأوصافهِ هذه- معدودةٌ مِن الخطأِ اللفظيِّ الجليِّ -المَحْضِ-؛ الذي يَنْبَغي -حتماً- تركُه، ويجبُ -لزوماً- نَبذُهُ؛ حتى نقطعَ الطريقَ أمامَ كُلِّ رافضيٍّ خبيثٍ يُريدُ ضربَ أهل السنَّة، وكَيْ نُغلقَ الباب في وجهِ كُلِّ صاحبِ كيدٍ -مريضٍ- يَبْغي إثارةَ الفُرقةِ بين السَّلفيّين -علماءَ ودُعاةً-...

وقبل هذا وذاك:

ضَبطاً للعبارات، وتحريراً للألفاظ، وسَيراً على طريق العلم وأهلهِ -دقَّةً وتحقيقاً، تنبُّهاً وتمحيصاً -.

وإني لأُخاطبُ ضمائرَ(!) أولئك المتقوِّلين -إذا كان فيهم بقيةٌ مِن ضمير، أو وجدان-:

هل تقبلون أن تُعامَلوا بمثل ما به تُعامِلون مَن أنتم لهم مُتربِّصون، أو بهم مترصِّدون؟!

أين أنتم من قولِ نبيِّنا ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسه مِن الخير»؟!

تذكَّروا -يا هؤلاء!-ولا تتقوَّلوا- أنَّ كلامَنا -هذا- إنّما يتوجّه إلى سُنِّيٍّ سلفيٍّ يُخطئ؛ لا في حزبيٍّ بغيض، ولا في عاميٍّ أحمق، ولا في تكفيريٍّ -أو قطبيٍّ- مُنفلتٍ!!

وإنّي لأقول لهؤلاء المُتَقوِّلين -الباغين للبُرآء العَنَتَ- أنفسِهم:

لو أنّكم كنتم صادقين مَعَ أنفسكم (!) لَصَدَقْتُم مع غيركم؛ وقمتُم بما يُمليه عليكم واجبُ الشرع من النصيحةِ، والديانةِ، والأمانةِ... بدلاً مِن أن تسلكوا مسالكَ أهل البغي والبَهْت والخيانةِ؛ غِشًّا، وتلبيساً، وتمويهاً- تربُّصاً، وتصيُّداً- ...

فأين أنتم -أين!- من قولِ ربكم: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة:١٤-١٥].

ولقد أعجبني -جدًّا- كلامٌ لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي محمد ربيع بن هادي المدخلي -أعلى الله مقامَه في الدارين- في بعض «أجوبتِهِ» -الأخيرة- لَمّا قسَّم (مَن وقع في بدعةٍ) إلى أقسام، فذكر -جزاه الله خيراً- منها:

«مَن كان مِن أهل السنَّةِ، ومعروفاً بتحرِّي الحقِّ -ووقع في بدعةٍ خفيّةٍ-؛ فهذا:

إنْ كان قد مات: فلا يَجوزُ تبديعُه، بل يُذكَر بالخير.

وإن كان حيًّا: فيُناصَح ويُبيَّن له الحقّ، ولا يُتسرَّع في تبديعِهِ، فإن أصرَّ: فيُبدَّع».

قال شيخ الإسلام ابن تيمّية -رحمه الله-: «وكثيرٌ من مُجتهدي السلفِ والخَلفِ قد قالوا وفعلوا ما هو بدعةٌ، ولم يعلموا أنه بدعةٌ، إمَّا لأحاديثَ ضعيفةٍ ظنُّوها صحيحةً، وإمَّا لآياتٍ فهموا منها ما لم يُرَدْ منها، وإمَّا لرأيٍ رأَوْهُ وفي المسألةِ نصوصٌ لم تبلُغهم. وإذا اتَّقى الرجلُ ربَّهُ -ما استطاع- دخلَ في قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وفي الحديثِ: إنَّ الله قال: «قد فعلتُ»،

وبَسْطُ هذا له في موضع آخر» [«معارج الوصول»: (ص٤٣)].

وعلى كُلِّ حال؛ لا يجوزُ إطلاقُ اشتراطِ إقامة الحُجَّة لأهل البدع عموماً، ولا نَفيُ ذلك -والأمر كما ذكرت-».

أقولُ:

وهذا البيانُ الدقيقُ مِن فضيلتهِ -جزاه الله خيراً- يُؤَكِّدُ لزومَ مُجانبةِ مثل تلكم الألفاظ -يقيناً- وإنِ اختَلَفت في حُكمها أنظارُ العلماء-وذلك جمعاً للكلمةِ، وتوحيداً للصفِّ، فضلاً عن أصل تعظِيم الصحابة، والمحافظة على مكانتهم العليَّة.

ولئنِ اتَّفَقَتْ كلمةُ العُلماء -من بعد- على حُكم هذه الكلمةِ -أو تلك- فلا يَسَعُ أحداً الاستمرارُ بمخالفتهم! أو المُضِيُّ بالتمسُّك برأيه! - فليس هذا أمراً هيّناً، ولا سهلاً -مِن قبلُ ومِن بعدُ-؛ فتَنبَّهْ.

وحينئذٍ -وقد وَضَحَ الصُّبحُ لذي عينَين-؛فلا مجالَ أمام ذلك النَّفَر المتقوِّل بالسُّوء والبهت -على أهل العلمِ السلفيِّين، والدُّعاةِ الصادقين المصلحين- إلا أن يتراجع، ويُعلن التوبة على الملأ - براءةً إلى الله، ونجاةً مِن عقاب الله-؛ فـ: «الظُلم ظُلمات»...

فإن أصرَّ هؤلاء المتقوِّلون -جمعاً أو تفريقاً- على الاستمرار في هذا البهتان، والمضيّ في هذا الهَذَيان؛ فلن يجدونا قائلين لهم -وفاعلين معهم- إلا ما واجَهَ به عَدَدٌ مِن الصحابةِ الكِرام -رضي الله عنهم- بعضَ مَن بَهتُوهم، وافترَوْا عليهم، وأساؤوا إليهم:

فها هو سعدُ بن أبي وقاص -رضي الله عنه- كما في -«الصحيحين»- يدعُو على مَن غَمَزَ بعدالتهِ وقِسمتهِ -رضي الله عنه- بدعاءٍ عظيمٍ عظيم -عليه-.

مع أنه -رضي الله عنه- لم يُتَّهم بعقيدةٍ ضالَّةٍ؛ أنَّه -مثلاً- مُرجئ! -وهو من ذلك بريء- ولم يُتَّهم -كذلك- بدينه؛ أنَّه -مثلاً- يَسُبُّ الصحابة الأجلَّة الأعيان!!

فكيف -باللهِ- لو كان؟!

فإنِّي أُخَوِّف هؤلاء -وأولئك- بالله -جلَّ في عُلاه، وعَظُم في عالي سماه-

إنْ كانوا منه -سبحانه- يخافون، أو له يرجُون -أن يتوبوا ويؤوبوا؛ قَبل أن أدعُوَ عليهم -واللهِ- بدعاءِ هذا الصحابي الجليل -على المُفتري عليه بسيِّئ الأقاويل-؛ وهو قولُه -رضوان الله عليه-:

«اللهُمّ إن كان عبدُك هذا كاذباً: فأطِل عُمُرَه.. وأطِل فَقْره... وعَرِّضْه للفِتَن».

ومثلُه -أيضاً- ما رواه مسلمٌ -وأصله في «الصحيحين» -عن سعيد بن زيد- رضي الله عنه- لَمّا ادَّعت عليه امرأةٌ (أنه أخذ شيئاً مِن أرضها)؛ فدعا عليها -رضوان الله عليه- بقوله:

«اللهم إن كانت كاذبة: فَعَمِّ بصرها. واقتُلْها في أرضها».

... فهل هم سيُصِرُّون، ويستكبرون؟!

أم أنّهم سيقبلون؟! ويرجعون، ويتراجعون؟!

هذا ما أرجوه (لهم) -واللهِ- أيها الصالِحون المصلحون. . .

فـ: المؤمنون عدَّارون، والمُنافقون عثَّارون!

وأختُمُ كلامي -هذا- بتلكم النصيحةِ الغاليةِ -العزيزةِ-التي خَتَم بها فضيلةُ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -نفع الله بعلومه- «أجوبتَه»- المتقدّم ذكرُ طرفٍ منها-؛ حيث قال -جزاه الله خيراً-:

«نصيحتي لطلابِ العلمِ، أنْ يعتصموا بالكتابِ والسنةِ، وأن ينضبطوا بمنهجِ السلفِ في كُلِّ ناحيةٍ مِن نواحي دينهم؛ وبخاصة في بابِ التكفيرِ والتفسيقِ والتبديعِ؛ حتى لا يكثُرَ الجدال والخصام في هذه القضايا.

وأوصي الشبابَ السلفيَّ -خاصةً- بأن يجتنبوا الأسبابَ التي تثير الأضغان والاختلاف والتفرقَ، والأمور التي أبغضها اللهُ وحذّر منها، وحذّر منها الرسولُ الكريمُ ﷺ، والصحابةُ الكرامُ، والسلفُ الصالحُ، وأن يجتهدوا في إشاعة أسباب المودّة والأُخوَّة فيما بينهم، والأمور التي يحبها الله ويحبها رسوله ﷺ».

أقولُ:

فأين المتجاوبون مع كلامهِ؟!

وأين المؤتلفون مع قصدهِ ومرامهِ؟!

والواجبُ الحتمُ على كُلِّ من استجابَ لداعي الحقِّ -قَلْباً وقالَباً-أن يستعيذ بربِّهِ -تعالى- مِن شرِّ نفسه، ومن شرِّ الشيطان -وجُندهِ-.

وأمَّا مَن وجد لذاته(!) مَلْجَأً غَيْر رَبِّه، و(شمَّر) لداعي هواه ساعدَه: فَلْيتُب إلى ربِّه، ولْيُنِب إلى مولاه... فكيف -بالله- إذا كان (مُعاذُه) ذاك -في كُمِّهِ!- (عقرباً)؟! فلا نجاة لَهُ -وربِّكَ- إلا باتِّخاذ مركب الحقِّ له مَهْرَباً . . .

وإلا؛ فالمصيبةُ -واللهِ- أدهى وأمرّ...

ونهايتُهُ -إذاً- من ذاته! -وعلى يَدِ نفسهِ!- بلا مفرّ...

وليس لي -بَعدُ- إلا أن أدعُو -لنفسي، ولأهل الحقِّ- أينما كانوا- بدُعاء رسولنا الكريم ﷺ؛ لَمَّا قال:

«يا وليَّ الإسلام وأهلِه: مسِّكْني الإسلامَ حتى ألقاك عليه» [«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٤٧٦)].

وبعدُ:

فإنِّي أُنهي كَلمتي بتكرار عين ما أبتدأتُ بِه -اعترافاً وتضرُّعاً-:

«إني أبرأ إلى الله -تعالى- من كلِّ ما نبا به لساني، أو طغا به قلمي؛ ممّا يُخالف بعضُ ظاهرهِ شيئاً من الحقِّ - صغيراً كان أم كبيراً-.

ورحم الله من أهدى إليَّ عيوبي؛ دون شماتةٍ وقحةٍ!! ومن غير تربُّصٍ ماكرٍ!!!

وأكرِّرُ -الليلَ والنَّهار، السِّرَّ والجِهار- دعاء النبي المُختار ﷺ-: «ربِّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري -كُلِّه-، وما أنت أعلم به منِّي، اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي وجهلي وهزلي، وكلُّ ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المُقدِّم وأنت المؤخر، وأنت على كلِّ شيءٍ قدير».

والحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين -ولو بَعْدَ حين-.

مبادرةٌ كشفت عن أصول صاحبها

• بقلم: الشيخ أبي عبدالله فتحي بن عبدالله الموصلي

المبتدع الذي يغلو في بدعته ينتهي -غالباً- إلى تكفير مخالفه: إمَّا لأنه جاهل لا يعلم ما يقول، أو متجاهل يحمله سوء قصده وفساد غرضه على إنكار ما هو معروف، وإمَّا لفساد أصوله؛ فلا تكاد ترى مبتدعاً من الغُلاة إلا وهو يبادر إلى التكفير، مُتَلَبِّساً بتضليل أهل السنَّة والحديث؛ بلا بيِّنة ولا حجَّة، وإنما بنقولٍ كاذبة، وتأويلاتٍ فاسدةٍ، وظنونٍ باطلةٍ، يَجمعها جامع الجهل بالحقِّ وظلمِ الخلق.

لهذا حذَّر النبيُّ ﷺ من إطلاق الكفر على المسلمين -تسرُّعاً وجهلاً-؛ فقال: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما»[1].

والزجر والوعيد الوارد في هذا الحديث إنما هو في تكفير المسلم -أيُّ مسلمٍ-؛ فإن كان ذلك في عالم أجمعت الأمَّة -عبر عصورها- على إمامته وفضله وجهادِه، فالتوقُّف أوجب، والمنع أحرى، والإثم أعظم؛ لكن المبتدع الذي خَرَقَ إجماع العلماء، وخالف كلَّ سمعي وعقلي، وعارض القواطع بالظنون، والحقائق بالأوهام، لا يتردد -لحمقه ووقاحته- في التكفير

(1) رواه البخاري ومسلم.

والتبديع والتفسيق؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «المجموع» (١٩/ ٢١٢): «ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالاً يَجعلونها واجبة في الدين؛ بل يَجعلونها من الإيمان الذي لا بدَّ منه، ويُكفِّرون من خالفهم فيها، ويستحلُّون دمه؛ كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم.

وأهل السنّة لا يبتدعون قولاً، ولا يكفِّرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفاً لهم مستحلاً لدمائهم، كما لم تكفِّر الصحابةُ الخوارجَ مع تكفيرهم لعثمانَ وعليٍّ -رضي الله عنهما-، ومَن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم».

فإذا عُلم ذلك؛ فلا يُستغرب من مبادرة جهول من الغلاة في تكفيره لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عبر بعض القنوات الفضائية؛ ليدلِّل بذلك على فساد أصوله، وضلالة منهجه في التفكير.

ولكنْ؛ ها هنا نكتةٌ لطيفة وهي: أنه ليس لأحد أن يتصوَّر الباطل تصوُّراً تامَّاً إلا إذا وقف على مقدماته وأصوله ومنشأ الخطأ فيه، وما يترتب عليه من لوازم فاسدة وفروع باطلة، وإلا: فيبقى الحكم على هذا الباطل في دائرة العموم والإجمال، وآنذاك يؤثِّر هذا -بالنتيجة- في فهم الحقِّ وتصوُّره...

فالحكم على كلِّ مُبطل متوقِّف على معرفة مقدمات اعتقادهِ وأصول مذهبهِ -أولاً-، وعلى طريقته في معارضة الأدلة الشرعيّة -ثانياً-، وعلى ما يترتب على باطلهِ من لوازمَ باطلةٍ وتشويشات خطيرة -ثالثاً-.

ثم يكون بطلانها في تفصيلها، وفسادها في عرضها، ونقضها في تصويرها؛ وهذا لا يكون إلا للباطل المحض، والنقص الكامل، كما وصف ابن القيم -رحمه الله- أصولَ أهل البدع في «صواعقه»؛ فقال: «ولمَّا أصَّل هؤلاء هذا الأصل، وجاءوا إلى تفصيله، ظهر سرُّ تأصيلهم في تفصيلهم، ودلَّ بطلان تفصيلهم على فساد تأصيلهم، فإنهم

أصلوا تأصيلاً مستلزماً لبطلان التفصيل، ثم فصَّلوا تفصيلاً دلَّ على بطلان الأصل وفساده، فصاروا حائرين بين التأصيل والتفصيل»[1].

أمَّا هذا المنكر للحقِّ، الظالم للخلق: فَلَمْ يكن متحيِّراً بين تأصيلهِ وتفصيله -فحسب-، بل أصوله وكلماته فضحته في منطوقها -من غيِّر تكلُّف في الردِّ عليه-؛ فظهر عاجزاً عن الجواب، مضطرباً في الخطاب، أضحك على نفسه الأعاجم والأعراب؛ لا سيما عندما بادر إلى تكفير الأعلام، وردَّ المتواترات بالظنون والأوهام.

ثم إنَّ هذا الجهول العجول بنى مقالته ومناظرته -زعموا- على أصلين فاسدين:

أولها: تكفير المخالف باعتقاد سُنّيٍّ.

الثاني: تلقيب الحقِّ المنزَّلِ وأصحابه بالألقاب الشنيعة المنفِّرة.

لهذا، بادر هذا المبطل الأحمق إلى تكفير شيخ الإسلام على أساس أصله الفاسد -هذا- وهو: التكفير (باعتقاد سُنّي) أي: عند هؤلاء: مَن لازَمَ الطريقة النبويّة السُنيَّة السلفيَّة يكون كافراً، وعندهم أنَّ الكفر والإيمان متوقِّفان على موافقة أصولهم وآرائهم؛ ومن خرج عن ذلك يكون كافراً؛ فطريقتهم -عند التأمُّل- مركَّبة من الشرك والبدعة، ومن التعطيل والتأويل، وضدها التوحيد والسنّة، والإثبات والنفي؛ وهكذا يكون حكمهم على الخلق بحسب ما تضمنته طريقتهم وأصولهم لا ما تضمنته طريقة السلف، فهم يؤصِّلون أصولاً، ثم يُلزمون الناس بها، ثم يكفِّرون المخالف لها.

وهذا قَدْرٌ مشترك بين جميع أهل البدع الغُلاة، لا سيما مَن حصل عنده الفساد في التَّصور والاعتقاد، وفي السلوك والأعمال؛ فيتبع ظنونه ويحكم بها، ويتعلَّق بشبهاته، ويُناظر لها؛ كما قال -تعالى-: ﴿ أَمْ

---

(1) «الصواعق المرسلة» (٣/ ١١٩٥).

قلت: كما نرى -اليوم- البعض حائرين بين الأقوال والأعمال، وبين الأصول والفروع، وبين النقل والفكر، وبين العقائد والسياسات.

أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:٣٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «المجموع» (١٩/ ٧٠): «وأمَّا التكفير بذنب، أو اعتقاد سُنّيٍّ فهو مذهب الخوارج، والتكفير باعتقاد سُنّيٍّ مذهب الرافضة والمعتزلة وكثير من غيرهم، وأمَّا التكفير باعتقاد بدعي فقد بيَّنته في غير هذا الموضع»[١].

فالخوارج يكفِّرون بالذنب، أو إذا لازم الإنسان السنَّة، والرافضة والمعتزلة يُكفِّرون بالثاني.

وأهل السنّة والجماعة لا يُكفِّرون إلا مع وجود أسباب الكفر، وتحقُّق الشروط، وانتفاء الموانع، وعندهم التوقُّف عن التكفير أولى، إلا بعد العلم بقيام الحُجَّة وإزالة الشبهة.

أمَّا الأصل الثاني -وهو التلقيب والتشنيع- فقد نبَّه عليه ابن القيم -رحمه الله- فقال: «وترتَّب لهم على هذين الأصلين أصلان آخران:

تلقيب الحقِّ المنزَّل وأصحابه بالألقاب الشنيعة المنفِّرة؛ كتلقيبه بالتجسيم، والتشبيه، والتمثيل، والتركيب.

وتلقيب الآخذين به بالمشبِّهة والمجسِّمة والحشوية، وتلقيب الكفر والضلال والإلحاد بالألقاب المستحسنة، كالتوحيد والتنزيه والعدل، وتلقيب أصحابه بالموحِّدين، أهل العدل والتوحيد والتنزيه»[٢].

هذه هي بعض أصول هذا المتجاسر على التكفير، المتسارع إلى التضليل، لتبيين مسلكه في الأحكام، وآرائه في الاعتقاد، وهي في -الجملة- كما يقول الدارمي -رحمه الله- في «رده على بشر المريسي»: «هذا كلام ليس له نظام، ولا هو من مذاهب الإسلام[٣]، ولا يُحتاج إلى نقيضه من الكلام؛ لأنَّ مع

(١) انظر -له- مثلا: «المجموع» (١٢/ ٥٠٠-٥٠١).

(٢) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤٣٤).

(٣) أي: المعتبرة.

كل كلمةٍ منها نقيضها من نفس كلام المعارض»[1].

فإن قيل: إذا كانت مقالة هذا السفيه فضحت قائلها من غير ردٍّ عليه، وأن الأصول الفاسدة والشفاعات الباطلة قد خذلته عن الجواب الصحيح والتعبير المليح[2]، فلماذا حَرَصَ البعض (!) على إظهاره -وهو في حال المناظر العجول والمتكلّم الجهول-؟!!

الجواب على هذا السؤال أن يقال: إنما هذا واقع لغرضين فاسدين، ومقصدين باطلين:

أولهما: التشويش على العامَّة، وتشكيك الناس باعتقادهم الحقَّ، وصرفهم عن لزوم طريقة الكتاب والسنّة في المسائل والدلائل، وفي الأقوال والأعمال.

أما الثاني: صرف أهل الحقَّ عن تقرير حقّهم ونشرهِ والتعريف به إلى الاشتغال بالأمور السافلة[3].

فهذا هو غرض الباطل وتكتيكُهُ: التشويشُ على الناس -تارةً-، والتشكيكُ بالثوابت -تارةً أخرى-، والانشغالُ عن الهدف -تارةً ثالثةً-، فتأمَّلوا يا دعاة السنّة!

لكن المبصر يدرك أنّ العلماءَ الربانيين في آثارهم، وتراثهم أكبرُ من رجل متناقض مضطرب لا يُنسب إلى اجتهاد ولا إلى تقليد؛ بل لا يُعرف بنظر ولا مناظرة..

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١].

---

(١) «نقض الدارمي على بشر المريسي» (ص٣٢٤).

(٢) ولا أقول: الفصيح.

(٣) وإن كان الرد على الباطل من مهمة القائمين به داخلاً في الأمور العالية.

المجتمع الإسلامي المعاصر والتحدي الحضاري(*)

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

التحدي الحضاري قوة مادية تعمل على تأمين رفاهية الإنسان في كل شؤون الحياة: المسكن، والملبس، والمأكل، والعلاج الدوائي للأبدان.

وإن هذه القوة المادية في سباق لامتلاك نواصي الحياة ، مما كان له أثر سلبي على وجود الانسان: من قتل، وتشريد، وضياع، واضطرابات.

وجاء التحدي الغربي في شكل توسع استعماري، بحثاً عن المواد الخام والأسواق والمواقع الاستراتيجية، وهذا شكل خطراً حقيقياً ومباشراً على المسلمين حتى بعد الاستقلال السياسي لبعض الدول.

هذا هو التحدي الحضاري الحقيقي الذي يؤدي إلى عدم قدرة المسلمين على مواكبة التطورات العلمية، والثقافية، والتقنية، والاقتصادية التي اجتاحت الكون.

فباستقراء لنصوص الوحي المطهر، وبالاعتبار بحوادث التاريخ، وبالتأمل في دنيا الواقع: يخرج المستبصر، ويدرك المتابع المتأمل: أن آليات الهجوم على الإسلام وتشويه حقائقه وطمس معالمه تتنامى ولا تتناهى، ووتعاظم ولا تتناغم، وتكون أكثر خطورة وأشد ضراوة حينما تشعل الحرب الإعلامية فتيلها، وتذكي الهجمة العدائية الدعائية أوارها، حيث لم تعد مقتصرة على بعض الأقلام الأحادية الحاقدة، بل

(*) بحث مقدم لمؤسسة الدعوة الإسلامية بماليزيا ضمن مشاركة في فعاليات ملتقى العلماء العالمي.

تبنتها مراكز أبحاث ودراسات، وتلقَّفَتها دوائر ومؤسسات في ظاهرة من التحامل المنظم والتخطيط المبرم.

إذن تعيش الأمة الإسلامية اليوم تحدياً حضارياً من قبل مدنيات كثيرة من أخطرها المدنية الغربية.

وبالرغم من أن التحدي الحضاري ظاهرة لازمة في الأمة، وأنه لم يأت حين من الدهر على المسلمين لم يأت عليهم تحديات حضارية، فإن التحدي المعاصر يتخذ طابعاً مختلفاً، يمكن تحوله التدريجي إلى مواجهة حضارية شاملة للجوانب الأيدلوجية، والاقتصادية، والسياسة، والعسكرية، وهي مصيرية؛ لأنها تعتزم اكتساح الحضارة الإسلامية حتى لا تعود قادرة على الظهور مرة أخرى.

عن ثوبان -رضي الله عنه-قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها».

قالوا: يا رسول الله! فمن قلة نحن يومئذٍ.

قال: «لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء؛ كغثاء السيل، وليَنزعن الله من صدور عدوكم المهابة لكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن».

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟.

قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

وبخاصة أنه يوجد في السياسات الغربية نظرية مفادها وجود عدو دائماً أو خطر كامن يستوجب مواجهته قبل ظهوره.

يضاف إلى ذلك فكرة صراع الحضارات لصموئيل هاتشجنتن ونهاية التاريخ.

ولقد نجح التحدي الحضاري الغربي -ولو شيئاً يسيراً- في إيهام العقل الإسلامي المعاصر بأنه لن ينطلق من ظلماته إلا بالخروج من ذاته وتراثه؛ أي: الانفصال عن زمانه الماضي، والانفصال عن الماضي وهمٌ لا يجيزه عقل هو صورة الحق؛ لأنه إذا كان الواقع حقاً؛ فالحضور الإسلامي واقع؛ لأن الواقع الراهن نسيج تاريخي يحضر فيه الدين حضوراً فاعلاً واسعاً، ولذلك لا يمكن أن ينسلخ عن ذاته أو ينفصل عن ماضيه، أي: دينه.

---

[1] أخرجه أبو داود، وأحمد، وهو صحيح.

ولذلك؛ فإن أثر الحضارة الغربية لم يعد من الأمور التي تتجاهل، لأن ذلك الأثر سوف يوجه مستقبل الأمة لو أسيءَ التعامل معه.

وبخاصة أن الغزو الحضاري سلاح فتاك يفضله الغرب أحياناً عن الدبابة والمدفع في محاولة إخضاع الأمة الإسلامية وتطويعها.

إن مشكلة التبعية للأجنبي وهي التي لا يمكن مواجهتها بمعزل عن هذا الأجنبي الذي لا ينفك عن التحدي العدواني للوجود الإسلامي الذاتي: الفردي والجماعي بدوافعه الطامعة في تحويل الحضور الإسلامي وعوامله الحيوية إلى موضوع لحضوره هو بالجوار على ما هو حق وجودي للآخر وباستلاب حريته في إبداع حضور تاريخي متميز مستقل بذاته حيث إنّ هناك ما يسمى بالتطهير العرقي والإبعاد والتهجير والإلغاء الثقافي، وتفتيت العالم جغرافياً وتاريخياً، والحكم على البشرية بأن تسير في طريق غاية منتهاها ما انتهى إليه الغرب.

إن الأمر يتعدى حدود الهيمنة إلى الاستئصال وفق الغايات المالوستية وأطاريح ماكس نوردو في طرد سكان الجنوب إلى عمق الصحراء ليقضوا نحْبهم هناك تاركين أماكنهم للعرق الأفضل الأوروبي.

والمواجهة الحضارية تبرز من خلال مظاهر مختلفة، بيد أن نقطة واحدة تقرر مصيرها النهائي لصالح الأمة أو في صالح أعدائها، تلك هي جدارة الفكرة الحضارية بالبقاء؛ فبقدر ما تكون الفكرة مليئة بركائز التقدم والتغلب، وبقدر ما تبعثه في الإنسان المتقمص لها من الإيمان والمعرفة، سيكون تقدم الأمة وانتصارها.

ولن تغني الفكرة الحضارية شيئاً لو لم تملك الأصالة والواقعية، ولم تكن قادرة على تحميل نفسها على كتف الحياة حتى تصنع رجالاً، وتصنع بهم بطولات، وتصنع بهم حضارة متفوقة.

إذ بدون التفاعل بين الإنسان والفكرة كيف يتمكن الإنسان من تغيير واقع وبناء حياة! فهل تتقدم أمة تملك ثرائاً ضخماً من الفكرة الحضارية لو لم تتحول فعلاً إلى عطاء وعمل؟!

ومن هنا؛ فإن الإسلام لن يغني الأمة شيئاً ما دام فكراً تاريخياً في ذهنية المسلمين، دون أن يتحول إلى مادة حضارية تتفاعل مع الإنسان في واقعه الخارجي، ولن يقع هذا التحول دون ظهور الإسلام على المسرح من جديد حتى يقوم بدوره كفكرة حضارية.

ذلك لأن الإسلام ديناً، والإسلام تاريخاً يختلف كثيراً عن الإسلام إيماناً وعملاً وبالتالي فكرةً حضارية.

إذ الدين بمفهومه الشائع انتماء وطقوس، والتاريخ عبر وحكم، أما الإيمان، فهو أصالة وكينونة. أما الحضارة فهي حركة وحياة. وبين القسمين فاصل كبير.

فالمسلمون كانوا أمة، وكانوا خير أمة أخرجت للناس، وكوّنوا حضارة لا مثيل لها، كل هذا -تاريخ- لا يمكن أن يحقق شيئاً.

ولنا أن نتسائل: هل عاد المسلمون أمة، وهل هم اليوم خير أمة، وهل هم بناة حضارة، بل هل هم حماة حضارة؟

وبكل أسف يجب أن نجيب: كلا إننا لم نعد اليوم أمة واحدة، لأننا نفقد الوحدة والتعاون.

ولو لم نعد خير أمة، لأننا لا نملك كفايتنا من العلم والإيمان.

ولم نعد نبني ولا نحمي حضارة؛ لأننا بكل أسف نعاني نكبات عسكرية، وتخلفاً اجتماعياً علمياً اقتصادياً.

وبالتالي: فإن إسلامنا في أمس لن يغني عن إسلامنا اليوم شيئاً.

والسؤال هنا: كيف نحول أمساً إلى اليوم؟

والجواب سهل يسير لا بد من طي الفترة التي تفصل اليوم عن أمس، ليتصل يومنا بأمسنا ونبدأ منه المسير.

ويشهد التاريخ أن الإسلام هو الدين الذي يجدد نفسه بنفسه وفق مبدأ التجديد والإصلاح بالاجتهاد في الشريعة حتى أضحى قانوناً تاريخياً وفق حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة عام من يجدد لها دينها»[1].

وللبحث بقية . . .

---

[1] أخرجه أبو داود وهو صحيح.

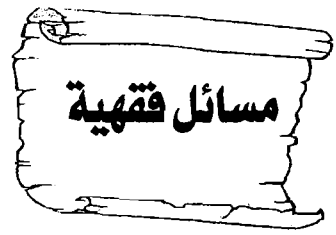

الحلقة الأولى

المـــال وأحكامُـــه

• بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

إنَّ موضوع المال ومـا يتعلَّـق بـه مـن أحكام وما له به من صلة، أمـر متشعِّب جـداً، وخُـصَّ بدواويـن كثـيرة شـهيرة، وبقي معرفة: هل المال في ذاتـه محمـود أم مذمـوم، وفي النصـوص -الأحـاديث والآثار- ما يفيد هذا وهـذا، ولـذا حمله العلماء علـى الحـالتين علـى حسـب مـا يؤول إليه الأمر.

* متى يذم المال؟

فهو مذموم باعتبار[1]:

- أن فيه إشغالاً عما هـو الأهـم في الدنيا من العمل بالخيرات، وقـد يكـون سبباً في الصدّ عن كثير من الطاعات.

- أنـه سـبب في الاشـتغال عـن الواجبـات، ووسـيلة إلى الغفلـة والممنوعات، لأن التمتع بالدنيـا يسـبب له ضراوة كضراوة الخمر، وبعضها يجـرُّ إلى بعـض، إلى أن تـهوي بصاحبـها في المهلكة -والعياذ بالله-.

- أن الشرع قد جاء بذم الدنيا، وهو مـن زينتـها، وسـبب للتمتّـع بلذّاتـها، كقولـه -تعـالى-:﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأحقـاف:٢٠]،

(١) مأخوذ بتصرف كبير مـن مواطـن مـن «الموافقـات» (١/ ١٧٦ ومـا بعـد، و٥/ ٣٥٤ وما بعد).

وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥].

وفي الحديث: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم: أن تُفتح عليكم الدنيا كما فُتحت على الذين من قبلكم...»، وفيه: «إن مما يُنبتُ الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِمّ»[١].

وذلك كثير شهير في الكتاب والسنَّة.

- ما فيه من التعرض لطول الحساب في الآخرة، وقد جاء في بعض الآثار: «إن حلالها حساب، وحرامها عذاب»، والعاقل يعلم أن طول الحساب نوع من العذاب، وأن سرعة الانصراف من الموقف إلى الجنة من أعظم المقاصد، وإن المال صادٌّ عن ذلك.

• متى يمدح المال؟

ونازع آخرون في ذلك؛ وقالوا عن الوجوه المذمومة السابقة: إنها حق، وهذا النظر الذي نظرتم إليه إلى المال والدنيا هو نظر مجرد من الحكمة التي وضعت لها الدنيا، من كونها متعرَّفاً للحق، ومستحقاً يُشكرِ الواضع لها، بل إنما يعتبر فيها كونها كيساً ومقتنصاً للذات، ومآلاً للشهوات، انتظاماً في سلك البهائم، وهذا ظاهر للعيان من هذه الجهة، وهو على هذا الحال، قشرٌ بلا لبٍّ، ولعب بلا جد، وباطل بلا حق؛ لأن صاحب هذا النظر لم ينل منه إلا مأكولاً، ومشروباً، وملبوساً، ومنكوحاً، ومركوباً، من غير زائد، ثم يزول عن قريب، فلا يبقى منه شيء، فذلك كأضغاث أحلام، وهذا هو نظر الكفار[٢] -أصالةً-، وأما المؤمنون فهم

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الزكاة (باب الصدقة على اليتامى) (رقم ١٤٩٥)، وكتاب الرقاق (باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها) (٦٧٢٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخبرنا النبي ﷺ أننا سنتبع سننهم -أعني: اليهود والنصارى-، وهم منغمسون بالملذات، وهذا واقع اليوم بلا دافع.

وهذه المضاهاة هي أخطر ما تصيب الأمة على الإطلاق، وعدم معرفة (فقه المفاضلة)

يعلمون أن المال محمود من وجوه كثيرة، منها:

- إنه نعمة من الله -عزَّ وجل- كسائر النعم، يجب شكرها، والواجبُ: الانتدابُ إلى ذلك حسب القدرة والمكنة، وصار ذلك القشرُ محشوّاً لُبّاً، بل صار القشر نفسه لباً؛ لأن الجميع نعمٌ طالبة للعبد أن ينالها، فيشكر لله بها وعليها.

- إنه يُستعان به على الطاعات، وهو ذريعة في بعض الأحايين إلى تحقيق بعض المأمورات والواجبات، كالمستعان به على أمر أخرويّ، ففي الحديث الصحيح: «نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح»، وفي الحديث الآخر: «ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلا والنعيم المقيم....»، إلى أن قال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، فجعل المال فضلاً من الله يمتنّ به على بعض عباده.

- إن ما ذكر من الحساب على المال، وأنه يؤخر الأغنياء من دخول الجنة، يقال عليه: إنه راجع إلى أمر خارج عن نفس المال، فإنه - مثلاً- من خلاله: يقع أكل كذا، وله مقدمات وشروط ولواحق لا بد من مراعاتها، فإذا رُوعيت صار ذلك وسيلة إلى العبادات والطاعات، وإن لم تُراع كان التسبب والتناول فيه قصوراً أو خلافاً على حسبه وبقدره.

*** المال كغيره من الشهوات:**

- وعلى الجملة؛ فالمال كغيره من الشهوات والملذات، له أحكام، وضوابط، وشروط، وموانع، ولواحق تراعى، والترك[1] في هذا كله كالفعل، فكما أنه إذا تسبب للفعل كان تسببه

= المذكورة يسبب ويلات على الأمة، سلباً وإيجاباً، ولذا فعزة أمتنا ورفعتها بتعلّم أحكام دينها، والخطورة كل الخطورة في تناول الأحكام تناولاً أولياً من نص واحد، وإهدار سائر النصوص، أو عدم اعتبار ما جاءت به الشريعة من تحقيق مقاصد معتبرة.

(١) إذ هو عند المحققين الأصوليين (فعل)، ولذا من عمل الصالحات من أجل الناس فهو المرائي، ومن تركها من أجلهم فقد أشرك، على ما ذكر الفضيل بن عياض.

مسؤولاً عنه، كذلك إذا تسبب إلى الترك كان مسؤولاً عنه.

وتأمل حادثة سلمان وأبي الدرداء، فيما أخرج البخاري (١٩٦٨، ٦١٣٩) ومسلم (١٨٢) عن أبي جُحَيفة، قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء -وهي زوجه- متبذّلة؛ فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل فإني صائم. فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل؛ فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم. فنام، ثم ذهب ليقوم؛ فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلينا فقال له سلمان: «إن لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍّ حقّه»[1]، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك؛ فقال النبي ﷺ: «صَدَقَ سلمان».

يتبين لنا من هذا أن الفعل والترك يتعلق بهما الحساب، وإذا كان كذلك، فلم يبق مجالٌ لذم المال من هذا الوجه.

* فصل النزاع:

والصواب في هذا الباب: أن تناول المباح، وتحصيل المال من حلّه؛ لا يصح أن يكون صاحبه محاسَباً عليه بإطلاق، وإنما يحاسب على التقصير في الشكر عليه؛ إما من جهة تناوله واكتسابه، وإما من جهة الاستعانة به على التكليفات، فمن حاسب نفسه في ذلك وعمل على ما أُمِرَ به، فقد شكر نعم الله، وفي ذلك قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٣٢] إلى قوله: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف:٣٢][2].

---

(١) أشدُّ واجب وأهمه في شرع الله -تعالى-في نظري-: إعطاء كل ذي حق حقه، فالنفوس ترغب، والأهواء تميل، وقد يكون ذلك مع شيء يحبه الله -تعالى-، ولكن (إعطاء كل ذي حق حقه) يحتاج إلى إرادة تامة صحيحة، وتصوّر جملي سليم، والله الموفق.

(٢) يؤكد ذلك أن النبي ﷺ فسر (الحساب اليسير) في قوله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

وهذه النعم هدايا من الله للعبد، وهل يليق بالعبد عدم قبول هدية السيد؟ هذا غير لائق في محاسن العادات، ولا في مجاري الشرع، بل قصد المهدي أن تقبل هديته، وهدية الله إلى العبد ما أنعم به عليه، فليقبل، ثم ليشكر له عليها.

والخلاصة؛ إنَّ المال لا بدَّ أن يكون خادماً لأصل ضروري أو حاجيٍّ أو تكميلي، ويراعى إمساكه وتحصيله من جهة ما هو خادم له، فيكون مطلوباً ومحبوباً فعله، وذلك أن التمتع بما أحل الله -عزَّ وجل- من المأكل والمشرب ونحوهما: مباح في نفسه، وإباحته بمفرداته المتعددة، خادمة لأصل ضروري، وهو إقامة الحياة[1]، فهو معتبر ومحبوب بالنسبة إلى حقيقته الكلية، لا إلى اعتباره الجزئي، ومن هنا يصح كونه هدية يليق فيها القبول دون الرد، لا من حيث هو جزئي معين.

أما إن عاد المال لنقض أصلٍ من أصول الشرع، والاعتداء على المقاصد الكلية، بالاعتداء على العرض، أو العقل، أو البدن، أو النسل، أو الدين؛ فهذا هو المذموم، ويسمى أخذه: رغبة في الدنيا، وحباً في العاجلة، وضده هو الزهد فيها، وهو تركها من هذه الجهة، ولا شك أن ذلك مطلوب.

ولذا؛ فالفصلُ في المسألة: أن ذم المال بإطلاق لا يستقيم، كما أن مدحه

= كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٨] بأنه العرض، لا الحساب الذي فيه مناقشة وعذاب. كما أخرجه البخاري (٤٩٣٩) ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة، وإلا؛ لم تكن النعم خالصة للمؤمنين يوم القيامة، وإليه يرجع قوله -تعالى-: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]. أعني: سؤال المرسلين. ويحققه أحوال السلف المعروفة عنهم -رضي الله عنهم-.

(١) قال ابن حزم في «الأخلاق والسير» (ص ١٧٥- ط. عبدالحق):

«ينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله، ويصون نفسه بجسمه، ويصُونَ عرضه بنفسه، ويصون دينه بعرضه، ولا يصون بدينه شيئاً أصلاً». فلله دَرُّه ما أدقّه! وأبعد غورَ فهمه!

بإطلاق لا يستقيم، يوضّحه: مسألة الحجر على السفيه، الذي يضع المال في غير موضعه[1]، ومسألة النفقات وأحكامها، فالقاعد عن العمل معرض نفسه للمسألة، مضيِّع لمن يعول، وكفاه إثماً[2] بذلك.

ومن المتفق عليه أن تركه هذا ليس مرغباً فيه، ولا هو زاهد فيه على الوجه المحمود، بل يسمى فعله سفهاً وكسلاً، وكذا مسألة التبذير والشح، فكلاهما مذموم، وهما طرفان، والعدل والخير: بينهما.

(١) من بديع ما يذكر في هذا الباب: ما قاله ابن حزم في «المحلى» (١٠/ ١٠٠):

«فإضاعة المال حرام، وإثم وعدوان بلا خلاف». وقال عن إهمال (إصلاح المال): «فمن لم يعن على إصلاحه؛ فقد أعان على الإثم والعدوان، وعصى الله -تعالى-».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الزكاة (باب النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم) (٢/ ٦٩٢ رقم ٩٩٦) من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته».

ومعنى الحديث: أنه لا ينبغي المساهلة على من تلزم الإنسان نفقته، ويلزم البداية بهم في الإنفاق، وليس له الإنفاق على غيرهم مع حاجتهم، والله أعلم.

فضل العلم على المال

* «إنَّ النَّفس تَشرُفُ وتزكو بجمع العلم وتحصيله -وذلك مِن كمالها وشرفها-، والمالُ لا يُزكِّيها ولا يُكمّلُها ولا يزيدُها صفة كمالٍ، بل النّفس تَنقُصُ وتشِحُّ وتبخل بجمعه والحرص عليه، فحرصُها على العلم عين كمالها، وحرصها على المال عين نقصِها».

[«مفتاح دار السعادة» (١/ ٤١٨)]

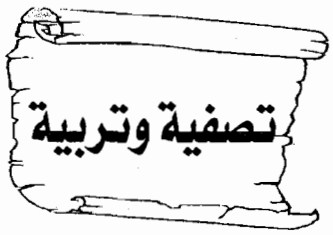

الحلقة الثالثة والأخيرة

أسباب ضعف المسلمين أمام عدوِّهم ووسائل العلاج لذلك

• سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-

ولْيُعلم أنَّ النصر بيد الله -سبحانه وتعالى-، وهو الناصر لعباده، ولكنه -سبحانه- أمر بالأسباب، وأعظم هذه الأسباب طاعة الله ورسوله ﷺ، ومن طاعة الله ورسوله التعلم والتفقه في الدين حتى تعرف حكم الله وشريعته لنفسك وفي نفسك وفي غيرك وفي جهاد عدوك، وحتى تُعِدَّ العُدَّة لعدوك، وحتى تكف عن محارم الله، وحتى تؤدي فرائض الله، وحتى تقف عند حدود الله، وحتى تتعاون مع إخوانك المسلمين، وحتى تُقدّم الغالي والنفيس من نفسك ومالك في سبيل الله -عز وجل-، وفي سبيل نصر دين الله وإعلاء كلمته، لا في سبيل الوطن الفلاني ولا القومية الفلانية.

فهذا هو الطريق، وهذا هو السبيل للنصر على الأعداء بالتعليم الشرعي والتفقه في الدين من الولاة والرعايا، والكبير والصغير، ثم العمل بمقتضى ذلك، وترك ما نحن عليه مما حرّم الله، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١]، فمن أراد من الله النصر والتأييد وإعلاء الكلمة: فعليه تغييرُ ما هو

عليه من المعاصي والسيئات المخالفة لأمر الله، وربك يقول -جل وعلا-: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور:٥٥]، ما قال الله: وعد الله الذين ينتسبون إلى قريش أو العرب أو الذين يبنون القصور ويستخرجون البترول ... إلخ، بل علّق الحكم على الإيمان الصادق والعمل الصالح -سواءً كانوا عرباً أو عجماً-.

هذه هي أسباب النصر والاستخلاف في الأرض، لا العروبة ولا غير العروبة، ولكنه إيمان صادق بالله ورسوله وعمل صالح.

هذا هو السبب، وهذا هو الشرط، وهذا هو المحور الذي عليه المدار، فمن استقام عليه فله التمكين والاستخلاف في الأرض والنصر على الأعداء، ومن تخلّف عن ذلك لم يضمن له النصر ولا السلامة ولا العز، بل قد ينصر كافر على كافر، وقد ينصر مجرم على مجرم، وقد يعان منافق على منافق، ولكن النصر المضمون الذي وعد الله به عباده المؤمنين لهم على عدوهم إنما يَحصُل بالشروط التي بينها -سبحانه-، وبالصفات التي أوضحها -جل وعلا- وهو الإيمان الصادق والعمل الصالح؛ ومن ذلك نصرُ دين الله؛ قال -تعالى-: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج:٤٠-٤١]، هذا هو نصر دين الله؛ فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقد نصر دين الله؛ لأن من ضمن ذلك أداء فرائض الله وترك محارم الله.

وقال -تعالى-: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال -سبحانه-: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

فأهل الفلاح والنصر والعاقبة الحميدة، هم الذين عملوا الصالحات وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ونصروا الله -عز وجل-، وهم المذكورون في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧].

فالدَّواء واضح والعلاج بَيِّن، ولكن أين من يريد الدواء؟

وأين من يريد العلاج؟

وأين من يستعمله؟

هذا واجب ولاة الأمور والعلماء والأعيان في كل مكان، وفي جميع الدول الإسلامية -إذا كانوا صادقين في الدعوة إلى الإسلام-؛ وذلك بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحفاظ على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفقه في الدين، وإصلاح المناهج في المدارس في جميع المراحل، والتعاون -أيضاً- في التكاتف ضد الأعداء والاتحاد، مع الإخلاص لله في العمل والصدق فيه ونية الآخرة، وبذلك يستحقون النصر من الله والتأييد منه -سبحانه-؛ كما كان الأمر كذلك عند سلفنا الصالح مما لا يخفى على أهل العلم.

وبالأمس القريب: الإمام المجدد لمعالم الإسلام في القرن الثاني عشر -شيخ الإسلام محمد عبدالوهاب- لما رأى ما رأى من الجهل العظيم، وتعطيل أحكام الشريعة وكثرة الجهل في الجزيرة وغيرها، وقلة الدعاة إلى الله -عز وجل- وانقسام أهل هذه الجزيرة إلى دويلات صغيرة -على غير هدى وعلى غير علم- رأى أن من الواجب عليه أن يقوم بالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأن يُنَبههم إلى ما وقعوا فيه من الخطر، وأن يسعى إلى جمع كلمتهم على الحق، وعلى رئيس واحد يقيم فيهم أمر الله، ويجاهدون في سبيل

الله، فَجَدَّ -رحمه الله- في ذلك، ودعا إلى الله، واتصل بالأمراء، وكتب الرسائل في أمر التوحيد وتحكيم شريعة الله وترك الشرك به، ولم يزل صابراً على ذلك محتسباً بعد ما درس وتفقه في الدين على مشايخ البلاد وغيرهم، ثم جَدَّ في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وجمع الكلمة في حريملاء أولاً، ثم في العُيَينة، ثم انتقل -بعد أمور وشؤون- إلى الدرعية، وبايعه محمد بن سعود -رحمه الله- على الجهاد في سبيل الله وإقامة أمر الله، فصدقوا -جميعاً-، في ذلك وتكاتفوا في ذلك، وجاهدوا على ضعفهم حتى نصرهم الله، وأيدهم، وأعلنوا التوحيد، ودعوا الناس إلى الحق والهدى، وحكموا شريعة الله في عباد الله.

وبسبب الصدق والاستعانة بالله وحسن المقصد أيَّدهم الله وأعانهم. وأخبارهم لا تخفى على كثير ممن له أدنى بصيرة.

ثم جاء -بعد ما جرى من الفتور والانقسام- الملك عبد العزيز -رحمه الله-، وجدّ في هذا الأمر وحرص فيه، واستعان بالله -سبحانه- ثم بأهل العلم والإيمان والبصيرة، وأعانه الله وأيده، وجمع له كلمة المسلمين في هذه الجزيرة على كلمة واحدة، وعلى تحكيم شريعة الله، وعلى الجهاد في سبيل الله، حتى استقام أمره وتوحدت هذه الجزيرة -من شمالها إلى جنوبها، وشرقها وغربها- على الحق والهدى بأسباب الصدق والجهاد وإعلاء كلمة الله -تعالى-، فالمقصود: أن الأمثلة كثيرة في ذلك.

وهكذا صلاح الدين الأيوبي: قصته معروفة، ومحمود زنكي كذلك، فالمقصود: أن سلفنا الصالح لما صدقوا في جهادهم -في وقت نبيِّهم وبعده- أعزهم الله وأعلى شأنهم واستولوا على المملكتين العظيمتين -مملكة الأكاسرة ومملكة الروم في الشام وما حولها- ثم من بعدهم ممن صدق في دين الله نصرهم الله لما عندهم من الصدق، والتكاتف في إعلاء كلمة الله.

ثم في أوقات متعددة متغايرة يأتي أُناس لهم من الصدق والإخلاص ما لهم،

فيؤيدون وينصرون على عدوهم على قدر إخلاصهم واجتهادهم وبذلهم.

والذي نصر الأولين والآخرين -سبحانه وتعالى- هو الله -عز وجل-، وهو ناصر من نصره، وخاذل من خذله، كما قال الله -تعالى-: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]، وقال -سبحانه-: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران:١٢٠]، وقال -عز وجل-: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

ولكن المصيبة في أنفسنا؛ كما قال -عز وجل-: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠].

فالمصيبة جاءت من ضعف المسلمين، وتكاسلهم وإيثارهم العاجلة، وحبهم الدنيا وكراهة الموت، وتخلُّفهم عما أوجب الله، وترك الصلوات، واتباع الشهوات، وإيثار العاجلة والعكوف على المحارم والأغاني الخليعة، والفساد للقلوب والأخلاق ... إلخ.

فمن هذا -وأشباهه- سلّط الله على المسلمين عدوهم؛ كما قال -جل وعلا-: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦].

نسأل الله -عز وجل- أن يَمُنَّ علينا وعلى جميع المسلمين وولاة أمرهم: بالتوبة إليه، والاستقامة على أمره، والتعاون على البر والتقوى، وعلى إعداد العُدَّة لأعدائنا والتفقه في الدين، والصبر على مراضيه، والبعد عن مساخطه -سبحانه-.

كما نسأله -سبحانه- أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، ومن أسباب النقم، وأن ينصر دينه، ويُعلي كلمته ويخذل أعداءه، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، وأن يصلح ولاة أمرهم وأن يرزقهم البصيرة إنه سميع قريب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

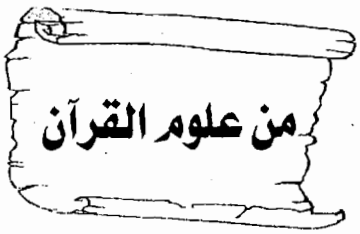

من علوم القرآن

قُرَّاء مجـــاهدون

• بقلم: الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

هذه مقالةٌ في بيان القراء الذين جمعوا بين القراءة وجهاد الأعداء والمرابطة على الثغور، ولم يمنعهم الإقراء -على ما فيه من أجر وثواب- من القيام بفريضة الجهاد.

ومع قول النبي ﷺ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه)) [رواه البخاري]، لم يمنع ذلك أهلَ القرآن من الجهاد في سبيل الله؛ لقوله -تعالى-: ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة:٤١]، أي: شباباً وشيوخاً، أي: مشاغيل وغير مشاغيل، وقيل الثقيل: الذي له ضيعة يكره أن يدعها، والخفيف: الذي لا ضيعة له[1].

---

(١) قال ﷺ: ((من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله)) [((صحيح ابن ماجه)) (٢٢٧/ ٨٢و٨٣/ ١)].

وعن علي الأزدي -رضي الله عنه- قال: أردت الجهاد، فقال ابن عباس: ((ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؛ تأتي مسجداً فتقرئ فيه القرآن وتعلم فيه الفقه)).

قلت: وهذا في جهاد الطلب -الذي هو فرض كفاية- لا في جهاد الدفع -الذي هو فرض عين- كما لا يخفى.

وقال ابن زيد: وقيل: الخفيف الشجاع، والثقيل الجبان.

وقال القرطبي[1]: والصحيح في معنى الآية: أن الناس أُمروا جملةً أن ينفروا؛ خفَّت عليهم الحركة أو ثقُلت.

والقراء هم أهل الله وخاصته، وهم يعيشون مع آيات القرآن صباحَ مساءَ تمرُّ بهم آيات الجهاد فتشحذ هممهم، وتقوي عزيمتهم، وتدفعهم إلى الجهاد والرياضة وحب الشهادة[2].

ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٤٤]، وقولُه: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة:٥]، وقولُه: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩]، وقولُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقولُه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦].

وأما الأحاديث؛ فكثيرة جداً منها:

قال أخونا الشيخ الدكتور عبدالعظيم بن بدوي -حفظه الله-: وجدير بالذكر أن العلم إنما يفضل على الجهاد ما لم يتعيَّن الجهاد، فإذا تعيَّن لم يَجُز القعود عنه بحجة التعلم والتعليم «الأربعون في الخطب المنبرية» (ص١٠٢).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٥٠).

(٢) خصوصاً في وقت غزو ديارهم من أعدائهم كما حصل -أخيراً- في كارثة دخول جحافل الدبابات الأمريكيّة إلى وسط بغداد، واحتلالها، وسلبها ونهبها، وقتل كثير من أهلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عن أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1].

وقد كان السلف يتسابقون على الجهاد والغزو شباباً وشيوخاً قراءاً ومحدثين وفقهاء وقضاة.

فهذا سعيد بن المسيب: خرج إلى الغزو -وقد ذهبت إحدى عينيه-، فقيل له: إنك عليل، فقال: «استنفر اللهُ الخفيفَ والثقيلَ، فإن لم يمكنني الحرب كثَّرت السواد، وحفظت المتاع»[2].

والقراء ضربوا بنصيبٍ وافر من الجهاد؛ فكانت هذه الرسالة من جملة كنوز كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري.

الرباط في الأندلس:

(ج١/ ٢٣/ ٩٧) إبراهيم بن محمد بن بازي أبو إسحاق بن القزاز الأندلسي ثقة، قرأ على عبدالصمد بن عبدالرحمن صاحب ورش، وسمع منه كتابه الذي جمعه في قراءة نافع وحمزة، قرأ عليه أصبغ بن مالك، خرج مرابطاً إلى مجريط بالأندلس، فتوفي في رجوعه منها بطليطلة سنة أربع وتسعين ومائتين.

من مات في الأسر:

(ج١/ ١٢٨، ١٢٨، ٦٠٤) أحمد بن محمد بن محمد أبو جعفر القيسي القرطبي، ويقال له: أبو حجة صالح خيِّر، أخذ القراءات عن أبي القاسم بن الشراط وكان من العابدين، مات في الأسر عن بضع وسبعين سنة، على حدود سنة خمس وثلاثين وست مئة.

عُذِّب حتى الموت:

(ج١/ ١٣٦/ ٦٤٣) أحمد بن محمد[3] أبو جعفر القيسي القرطبي مقرئ نحوي ماهر قرأ على أبي الحسن بن الشراط، وبرع فاختصر «التبصرة» لمكي وألَّفَ في النحو كتاباً وتَصَدَّر بقرطبة، فلما أخذت انتقل عنها، ثم ركب في البحر فأُسر وعُذِّب حتى مات سنة ثلاث وأربعين وست مئة -رحمه الله-.

---

(١) أخرجه أبو داود بسند صحَّحه شيخنا الألباني.

(٢) «مشارع الأشواق» (١/ ٩٥).

(٣) لعله الذي قبله غير أن تاريخ الوفاة يختلف.

تحمّل الأذى في الجهاد:

(ج١/ ١٦٨/ ٧٨٢) إسماعيل بن محمد بن علي بن عبدالله بن هانئ الأندلسي الغرناطي شيخنا الإمام العلامة قاضي القضاة شرف الدين أبو الرشيد المالكي ولد سنة عشر وسبع مئة بغرناطة، أخذ القراءات عن القيجاطي، اشتغل عليه الناس وانتفعوا به كثيراً على لُكنةٍ من لسانه لا يعرف كلامه إلا من أكثر ملازمته بلغني أن ذلك من ضربة وقعت في رأسه في الجهاد، مات بالقاهرة سنة سبعين أو إحدى وسبعين وسبعمئة.

مَن توفي غازياً:

(ج١/ ٢٨٨/ ٢٧٩) زائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفي، عرض القراءة على الأعمش، وعرض عليه الكسائي، وكان ثقة حجة كبيراً صاحب مسند، توفي بالروم غازياً سنة إحدى وستين ومئة.

من شهداء اليمامة:

(ج١/ ٣٠١/ ١٣١٨) سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة أبو عبدالله الصحابي الكبير، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وقال النبي ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة -رضي الله عنهم-».

استشهد يوم اليمامة في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة -رضي الله عنه-، وقد روى عنه ابن أبي الدنيا حديثاً واحداً في كتاب «أهوال يوم القيامة» ولا أعلم له غيره.

مَن قُتل شهيداً مقبلاً غير مدبر:

(ج١/ ٣١٦/ ١٣٩٠) سليمان بن موسى بن سالم أبو الربيع الكلاعي الأندلسي الحافظ خطيب بلنسية.

قال الذهبي: تلا بالسبع على أصحاب ابن هذيل، ولم يتفرغ للإقراء، له تصانيف نافعة وبلاغة وفضائل، قتل شهيداً مقبلاً غير مدبر في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وست مئة وله سبعون سنة.

قال ابن الجَزَري: روي «تلخيص» أبي معشر عن أبي عبدالله بن حميد سماعاً، وسمعه منه الرضى محمد بن علي بن يوسف الشاطبي وروي «التيسير» قراءة على ابن زرقون.

من غزا الروم سبعين سنة:

(ج١/ ٣٤٩/ ١٤٩٩) عامر بن سعيد بالتصغير، ويُقال: له -أيضاً-: سعير بالراء، أبو الأشعث الجرشي نسبته إلى الجرش قرية لمصر، المِصِّيصي نزلها لأجل الغزو، قال السداني: كان خيِّراً فاضلاً بلغ المائة في سنه وزاد عليها، وغزا الروم سبعين سنة، أخذ القراءة عرضاً عن ورش، روى القراءة عنه محمد بن عبدالرحيم الأصبهاني، وقال: قرأت عليه بالمصيصة في المسجد الجامع، وكان يقول: قرأت على ورش فختمت عليه ختمتين وشرعت في الثالثة، فمات.

مَن غزا مع أمير المؤمنين معاوية -رضي الله عنه-:

(ج١/ ٤٤٣/ ١٥٨٠) عبدالله بن قيس أبو بحرية السكوني الكِنْدي الحمصي صاحب الاختيار في القراءة تابعي مشهور، قرأ على معاذ بن جبل وروى عنه وعن عمر بن الخطاب، روى القراءة عنه يزيد بن قطيب وحدَّث عنه خالد بن معدان، ويونس ابن مَيْسَرة، وكان يلي غزو الصائفة لمعاوية وبقي إلى زمن الوليد، وأظنه مات بعد الثمانين، والله أعلم.

شهيد صائم مظلوم:

(ج١/ ٥٠٧/ ٣١٠٠) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي أبو عبدالله وأبو عمرو القرشي أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين، وأحد من جمع القرآن حفظاً على عهد الرسول ﷺ وعرض عليه، عرض عليه القرآن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأبو عبدالرحمن السلمي، وزر بن حُبَيش، وأبو الأسود الدؤلي، كان أصغر من النبي ﷺ بست سنين، قتل شهيداً مظلوماً في داره يوم الأربعاء، وقيل: يوم الجمعة بعد العصر وكان صائماً ثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وله اثنتان وثمانون سنة على الصحيح، قاتَلَ اللهُ من قتله، ودُفن ليلة السبت بالبقيع وصلى عليه جبير بن مطعم، قال: لم يشك في هلال رمضان حتى قتل عثمان -رضي الله عنه-.

أفضل شهيد في زمانه:

(ج١/ ٥٤٦، ٥٤٧/ ٣٣٣٤) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم الإمام أبو الحسن الهاشمي أمير المؤمنين وأحد السابقين الأولين، روينا عن أبي عبدالرحمن السلمي أنه قال: ما رأيت أقرأ لكتاب الله -تعالى- من علي، وقال -أيضاً-: ما رأيت أقرأ من علي، عرض القرآن على النبي ﷺ.

وأجمع المسلمون على أنه قتل شهيداً يوم قتل وما على وجه الأرض أفضل منه، ضربه عبدالرحمن بن ملجم صبيحة سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة وهو ابن ثمان وخمسين سنة فيما قاله ابنه الحسن -رضي الله عنه- فعلى هذا يكون أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقال محمد بن الحنفية: قتل أبي وله ثلاث وستُّون سنة، وكذا قال الشعبي وابن عياش وجماعة، وقيل: ابن سبع وخمسين سنة -رضي الله عنه-.

شهادة الفاروق عمر -رضي الله عنه-:

(ج١/ ٥٩١/ ٣٤٠٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعُزّى بن ريَاح ابن عبدالله بن قرط بن رزاح -بتقديم الراء على الزاي- بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العدوي أمير المؤمنين أبو حفص -رضي الله عنه-، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وقال أبو العالية الرياحي: قرأت القرآن على عمر أربع مرات وأكلت معه اللحم.

استشهد -رضي الله عنه- يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشر أيام.

من استشهد في وقعة هولاكو:

(ج٢/ ٢٠٥/ ٣٥٦٦) محمد بن علي ابن عبدالصمد أبو منصور الخياط الصغير البغدادي من شيوخ بغداد الحاذقين، ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمئة، قرأ بمضمن «المصباح» على عبدالعزيز بن الناقد عن مؤلفه وسمع ابن طبرزد وحنبل الرصافي، قرأ عليه بالعشر عبدالله بن علان اليعقوبي،

وروى عنه الحافظ الدمياطي، بقي فيما أحسب إلى وقعة هولاكو فاستشهد سنة أربع وخمسين وست مئة.

من شهد الأندلس:

(ج٢/ ٢١١، ٢١٢/ ٣٣٨٨) محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي أبو عبدالله الإمام الأستاذ في القراءات، والنحو، والأدب، وفنون العلم، صاحب التصانيف المفيدة، قرأ القراءات والنحو على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي وأدرك جماعة من أكابر سبتة، وتوفي سنة أربع وثلاثين بجبل الفتح من ثغور الأندلس شهيداً حين حاصرته الكفار.

من شهداء قرطبة:

(ج٢/ ٢٣٨/ ٣٤٠٢) محمد بن محمد ابن أحمد أبو عبدالله الفَرَّيشي -بفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة، وآخر الحروف، وشين معجمة- القرطبي، مقرئ زاهد مجاب الدعوة، تلا بالسبع على أبي القاسم بن الشرط، وسمع من ابن بشكو، وحج فسمع بمكة من يونس الهاشمي، وسمع منه ابن مسدي، واستشهد عند استيلاء الفرنج على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وست مئة.

قال جامعُهُ -عفا الله عنه-:

هذا ما تيسر جمعه مما ذكره الحافظ ابن الجزري في «غايته»، وهو للمثال لا للحصر، ولو أردنا الاستقصاء لكان ذلك سفراً متوسِّطاً، والمقصود الإشارة والتنبيه وحض القراء في زماننا -فضلاً عن غيرهم- أن لا يمنعهم الإقراء من الجهاد الشرعيِّ -بشرطهِ المعتبر-، وخصوصاً وقد وجب الجهاد على المسلمين منذ سقوط الأندلس.

فالله أسأل أن يحيينا سعداء ويُميتنا شهداء مقبلين غير مدبرين، صابرين محتسبين.

يا رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحلقة الثانية والأخيرة

مهلاً . . . يا دعاة التّشغيب -عِرّةَ هذه الأمّة-!

● بقلم: أبي الحارث نادر بن سعيد التعمري

(د) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» -في شأن الخوارج-(٢٨/ ٤٩٧):

«أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون.

وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم.

ثم يَعُدُّون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً.

ثم يُرَتِّبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها!!

فهذه ثلاث مقامات للمارقين -من الحرورية والرافضة ونحوهم-، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام، حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية . . .» اهـ.

«واعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقْدِم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[1]. . .

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر، وأكبر واعظ عن التسرع في

(١) كما في البخاري (٦١٠٣، ٦١٠٤)، ومسلم (٦٠، ٦١).

التكفير،...»[1].

فها هنا -فيما نحن فيه مِن واقع أليمٍ مريرٍ-؛ «تُسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله؛ بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر؛ لا لِسُنَّة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لَمّا غَلَت مراجل العصبية في الدين، وتمكّن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقّنهم إلزاماتِ بعضِهم لبعض بما هو شبيهُ الهباء في الهواء، والسراب بالبقيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رُزئ بمثلها سبيل المؤمنين!!

والأدلة الدالة على وجوب صيانة عِرض المسلم واحترامه تدل بفحوى الخطاب على تَجنُّب القدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية؟! فإن هذه جناية لا تعدلها جناية، وجرأة لا تماثلها جرأة»[2].

(هـ) وعليه؛ فأقل ما يقال فيمن تَلبس بفكر الخوارج: إنه ظالم باغ؛ و«الظلم ظلمات يوم القيامة» [رواه: البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩)]:

ظالم لنفسه: بإيرادها للمهالك، وتقليدها البدع والضلال ...

ظالم لدينه: بتشويه معالمه، وإفساد رونقه، والمروق من سننه ...

ظالم للعلماء وسلف الأمة: بالخروج عن جادّتهم، وتسفيههم، واتهامهم بأشنع التهم والقبائح...

ظالم لولاة أموره: بتكفيرهم، واستباحة أعراضهم، والتحريض والتثبيط عنهم، والخروج عليهم ...

ظالم لأهله ولوالديه: إذ أشعل قلوبهم ألماً وحسرة، وكان جديراً بهذا السفيه أن يُجاهد بوالديه -ملازمةً وخدمةً ورعايةً وإحساناً-...

ظالم لمجتمعه: بإشاعة الفوضى والإرهاب، واستباحة الأعراض والأموال، وإراقة الدماء...

هذا المجتمع المسلم الذي له حقوق عليه بالتوجيه السديد، والنصح الرشيد، والأمر بالمعروف -بمعروف-، والنهي عن المنكر -من غير منكر: بلا تثوير ولا

---

(١) «السيل الجرار» للشوكاني (٣/ ٧٨٣-٧٨٤).

(٢) «السيل الجرار» للشوكاني (٣/ ٧٨٩-٧٩٠) مختصراً.

تفجير!!-، وإنما بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، لا بالإثارة والتشغيب.

وقد أعجبني -حقيقةً- كلمة قرأتها في إحدى الصحف السيارة -قبل سنين- يقول صاحبها عن مثل هذه الفئة الغاشمة: «إنه من المؤسف زعمهم للانتساب لستار غطاؤه سلفنا الذي يَمتد إلى رسول الله ﷺ نبي الرحمة والعدل؛ وبذلك: فإن جرائمهم تكون مضاعفة مرتين:

في المرة الأولى: لأنهم أقدموا على ارتكاب مجموعة من الجرائم البشعة دون أي مُسوِّغ أو حق.

والثانية: لأنهم زعموا انتسابهم لسَلَفٍ نبيلٍ لا يمكن أن يقبل لهم ما فعلوا»اهـ.

نعم، لا يَقبل -ولا يُقبَل- منهم ذلك أبداً، ونبينا ﷺ يقول: «ثلاث خصال لا يُغَلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم».

[رواه: ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٨٧) من حديث زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، وابن ماجه (٢٣٦) من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، وغيرهما، وصحّحه شيخنا الألباني -رحمه الله-].

وقال ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه له».

[رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٦) من حديث عِيَاض بن غَنْم -رضي الله عنه-، وصحّحه شيخنا الألباني -رحمه الله-].

وقال ﷺ: «من كره من أميره شيئاً، فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية».

[رواه: البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) (٥٦) -واللفظ له- من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-].

(٩) ناهيك عن الكثرة الكاثرة من الآثار الواردة في هذا الباب:

أ- عن سُويد بن غَفَلَة، قال: قال لي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «يا أبا أمية! إني لا أدري لعلي لا ألقاك بعد عامي هذا، فإن أُمِّرَ عليك عبد حبشي مجدع، فاسمع له وأطع، وإن ضربك

فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أراد أمراً ينتقص دينك، فقل: سمعاً وطاعة دمي دون ديني، ولا تفارق الجماعة». [رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٥٤٤)، والآجري في «الشريعة» (رقم ٧٠،٧١)].

قال الإمام الآجري -في توجيهه لهذا الأثر- (١/ ٣٨١-٣٨٢):

«يحتمل -والله أعلم- أن نقول: من أُمِّر عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو عجمي؛ فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقاً لك، أو ضربك ظلماً لك، أو انتهك عِرضك، أو أخذ مالك، فلا يَحملك ذلك على أن تَخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تَخرج مع خارجي يقاتله، ولا تُحرِّض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه.

وقد يُحتمل أن يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة، يُحتمل أن يأمرك بقتل من لا يستحق القتل، أو بقطع عضو من لا يستحق ذلك، أو بضرب من لا يَحل ضربه، أو بأخذ مال من لا يستحق أن تأخذ ماله، أو بظلم من لا يحل له ولا لك ظلمه، فلا يسعك أن تطيعه، فإن قال لك: لئن لم تفعل ما آمرك به وإلا قتلتك أو ضربتك، فقل: دمي دون ديني؛ لقول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل»[1]، ولقوله ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»[2]»اهـ.

ب- وقال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب» [أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٥)].

ج- عن أبي البَخْتري، قال: قيل لحذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

قال -رضي الله عنه-: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحسن، ولكن ليس من السنة أن ترفع السلاح على إمامك» [رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٠٣)].

د- وقيل لأسامة بن زيد -رضي الله

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٣٢ و ٥/ ٦٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٩).

(٢) رواه: البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).

عنه-: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه» [رواه: البخاري (٣٢٦٧، ٧٠٩٨)، ومسلم (٢٩٨٩)].

قال العلامة الألباني -رحمه الله- في «مختصر صحيح مسلم» (ص٣٣٠): «يعني: المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ؛ لأن في الإنكار جهاراً ما يُخشى عاقبته، كما اتفق في الإنكار على عثمان جهاراً، إذ نشأ عنه قتله» اهـ.

هـ- وقال الحسن البصري -رحمه الله- عندما خرج خارجي بالخريبة (موضع بالبصرة): «المسكين رأى منكراً، فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه» [رواه الآجري في «الشريعة» (رقم ٤٥)].

و- وقال ابن أبي حاتم الرازي: «سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا:

«أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويماناً- فكان من مذهبهم:... لا نرى الخروج على الأئمة، ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله -عز وجل- أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة»اهـ. [«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» اللالكائي (١/ ١٩٨-١٩٩)].

ز- وقال الطحاوي في «عقيدته» (ص٣٧٩-الشرح): «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا -وإن جاروا-، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله -عز وجل- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة»اهـ.

ح- وقال العلامة البربهاري في «شرح السنة» (ص١١٦): «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سنة -إن شاء الله-».

ط- وقال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ٦): «الإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ أساس كل شر، وفتنة إلى آخر الدهر»اهـ.

ي- وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١١٧): «وأما

السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين: ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم، وطاعة ربهم»اهـ.

ك- وقال الشوكاني في «السيل الجرار» (٣/ ٧٠٨) -عمن يثبِّط عن السلطان-: «الواجب دفعه عن هذا التثبيط، فإن كَفَّ وإلا كان مستحقاً لتغليظ العقوبة، والحيلولة بينه وبين من صار يسعى لديه بالتثبيط، بحبس أو غيره؛ لأنه مرتكب لمحرم عظيم، وساعٍ في إثارة فتنة تراق بسببها الدماء، وتهتك عندها الحرم.

وفي هذا التثبيط نزعٌ ليده من طاعة الإمام»اهـ.

قلت: تأمل -أخي القارئ- قوله: «وفي هذا التثبيط نزع ليده من طاعة الإمام»؛ وإني أناشدكم بالله العظيم -الذي آمن به المؤمنون- فأقول: فكيف الحال بمن خرج بسلاحه، وكفّر ودمّر، وقتّل وفجّر، بعدما ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المدثر]، وقد أشاع الفوضى، وروّع الآمنين والمستأمنين، وهتك حرمات الدين، وأزهق النفوس، ونهب الأموال، وفتك بالأعراض، وقطع السُّبُلَ، وسفك الدماء حتى تطايرت الأشلاء، وعطّل المصالح العامة، وزعزع حياة المطمئنين، وخطف الطائرات، ونسف عامر البنايات، ودمّر الممتلكات، وألّب القلوب، وأوغر الصدور، ففرّق المسلمين وأضعف جانبهم، حتى ألحد في حرم الله -تعالى-!! والله -سبحانه- يقول: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «لو أن رجلاً أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعَدَن أبْين؛ لأذاقه الله من العذاب الأليم»[1].

وقال العلامة عبد العزيز ابن باز -رحمه الله-: «فإذا كان مَن أراد الإلحاد في

(١) صحّح إسناده الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في «تفسيره القرآن العظيم».

الحرم متوعَّداً بالعذاب الأليم وإن لم يفعل؛ فكيف بحال من فعل؟!! فإن جريمته تكون أعظم! ويكون أحق بالعذاب الأليم!... فما أعظم خسارته! وما أكبر جريمته! فنسأل الله أن يرد كيده في نحره، وأن يفضحه بين خلقه»[1] اللهم آمين!

قلت: أفلا يكون -بعدُ- مَن هذا حاله حرورياً خارجياً، مفارقاً للجماعة، ونازعاً ليده من طاعة إمامه؟! بلى، وربِّي؛ وليهنأ -بل يخسأ- بقوله ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعَصَبَة، أو يدعو إلى عَصَبَة، أو ينصر عَصَبَة، فقُتل؛ فقِتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برّها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس مني، ولست منه»[2]؛ والله خيرٌ حافظاً!

ل- قال العلامة السعدي في «بهجة قلوب الأبرار» (ص٤٢-بتحقيقي):

«وأما النصيحة لأئمة المسلمين -وهم ولاتهم من الإمام الأعظم إلى الأمراء والقضاة إلى جميع مَن لهم ولاية عامة أو خاصة-: فباعتقاد ولايتهم، والسمع والطاعة لهم، وحث الناس على ذلك، وبذل ما يستطيعه من إرشادهم، وتنبيههم إلى كل ما ينفعهم وينفع الناس، وإلى القيام بواجبهم»اهـ.

وهكذا؛ فهذه نبذ من قائمة تطول من النصوص والآثار والنقول؛ تؤكد ما أشرنا إليه وذكرناه.

«وحسبنا أننا -ولله الحمد- على ما عاش عليه -ومات عليه- أئمة السنة الكبراء -في هذا الزمان-: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رحمهم الله أجمعين-، ومن سار عُلى طريقتهم من علمائنا المعاصرين»[3].

على أنَّ من سعى في «إشاعة الفوضى، وترويع الآمنين -أو المستأمنين-، وتقتيل الأطفال والنساء والشيوخ، ونزع الأمة من أمنها وأمانها

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله تعالى-» (٥/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) رواه مسلم (١٨٤٨) (٥٣).

(٣) «مجمل مسائل الإيمان»... (ص٤٥).

-باسم الجهاد! والدين!! وبالعواطف الجارفة، أو الحماسات الفارغة: فهو عين المحادة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، وخروج عن جادة أهل العلم الراسخين»[1].

(١٠) وعليه؛ فلا تكن -أخي المسلم- ممن يتعثر بأذيال التكفير والتبديع والتضليل؛ ممن «طاف على أبواب الآراء والمذاهب، يتكفّف أربابها، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد، وغاية الإحسان، فابتُلي بالوقوف على الأبواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان، وقد لبس حُلَّة منسوجة من الجهل والتقليد، والشبهة والعناد، فإذا بذلت له النصيحة، ودُعي إلى الحق؛ أخذته العِزَّة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان! وما أشد الجناية به على السنة والقرآن! وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن! وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان! والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان؛ ولهذا أمر به -تعالى- في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً، فقال -تعالى-: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٢]، وأمر -تعالى- بجهاد المنافقين، والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهُر المسلمين في المقام والمسير، فقال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة:٧٣]، فالجهاد بالعلم والحجة جهادُ أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، و«من مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق» [مسلم(١٩١٠)] ...

فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبِّت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن، فكأن قد كشف الغطاء، وانجلى الغبار، وأبان عن

(١) «المصدر السابق» (ص٦٠).

وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة، يوم تبيَضُّ وجوه وتسوَدُّ وجوه...

فواللهِ؛ مفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات:٢٢]، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، قال -تعالى-: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير:٧] قالوا: فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك -والله- يَعَضُّ الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه، ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]»[1] اهـ. والله المستعان!

ونرجوه -سبحانه- أن ييسِّر جَمْع نصوص هذا الباب في ديوان؛ ليتربى عليها شباب الأمة، فيكونوا على بصيرة من دينهم ومنهج سلفهم المبارك، والله الموفق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) «الكافية الشافية» لابن القيم (١٩-٢١).

الحلقة الثانية والأخيرة

فضل العلم ومُعوِّقات تحصيله

• بقلم: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

*** قسوة القلب:**

الحجاب الرابع -أو المخدر الرابع-: قول كثير من الناس: أن العلم يقسي القلب! وهذه كلمةٌ تُسمع، ويقولها بعض أشباه الجهال -والعياذ بالله- وإذا كان العلم يقسي القلب؛ فلا نعلم شيئاً يلين القلب بعد العلم، ما هو؟

فالأحكام الشرعيّة والحلال والحرام هذا كله سماه الله -جل وعلا- في القرآن موعظة؛ فقال -جلَّ وعلا-:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ

وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة هم أولو العرفان

هذا العلم كما عرفه ابن القيم في «النونية»، العلم مصدره ودليله قال الله، قال رسوله، القرآن بما فيه من العلم بالله والعلم برسوله والعلم بما وراء الغيب والجنّة والنار وما أعد الله.

وفضل الله ورحمته: القرآن والموعظة التي جاءت القرآن، والشفاء لما في الصدور الذي جاء بالهدى والرحمة هو القرآن، فالقرآن موعظة بكل ما فيه، فالعلم هو أكبر موعظة، العلم النافع لا يُقسّي القلب، العلم النافع يخشع معه القلب ويلين، لكن خشوع قلب طالب العلم ليس كخشوع قلب العابد الجاهل، فإن ذاك قد يأتيه من الخواطر أو ممَّا يظنُّه مِن الإيمانيات ما يجعله في الظاهر ألين قلباً! لكن ذلك في الحقيقة ألين قلباً وأخشع وأخضع كما هو ظاهرٌ من حال الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا أقوى، ومن بعدهم كانوا إذا تليت عليهم بعض الآيات أو إذا ذُكرت عليهم بعض القصص والرقائق ربما خرَّ بعضهم مغشياً عليه لأجل رقة قلبه.

ورقة القلب ولينه ليس هو الأمر المحمود -في ذاته-، بل لا بد أن تكون رقته ولينه على وفق ومقتضى العلم النافع؛ ولهذا قال جماعة من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره قالوا: إن من غشي عليه من السلف ووجود هذا فيهم لأجل قوة الوارد وضعف القلب عن الاحتمال.

وهذا صحيح؛ فإنه إذا صار الوارد قوياً والقلب ليسَ فيه من قوة العلم ما يحجب أو يكون قوياً على هذا الوارد فإنه قد يُسقِط صاحبه، لهذا قلب طالب العلم ليِّن خاشع خاضع بحسب حاله، وبحسب ما أعطاه الله له، لكن -أيضاً- وعلى بصيرة من الدين، فإنّه قد تُسرع البدع إلى قلوب فيها لين وليس عندها

تحصين بالعلم النافع، وقد قال ﷺ: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة» وهذا ظاهره المدح بهم، وفيه ما يشير إلى أنه تُسرع فيهم الأهواء، لأجل رقّة تلك الأفئدة.

فالفؤاد الرقيق، أو العاطفي -أو كما نقول: المتحمس- أو كثير الوجل والخوف قد يأتيه أهل الأهواء فيجرفونه.

وأما العلم؛ فإنه يعطي الخشية ويورث الخشية؛ لكنها خشية العلماء، وليس خشية العباد الجهلة، لهذا جاء في الأثر أو الخبر: «عالم واحد أشد على الكفار من ألف عابد».

هذا؛ وإن كان في إسناده مقال لكن ربما يصح موقوفاً وظاهر معناه الصحة؛ لأن العالم لا يستطيعه الشيطان لا من جهة الشبهات ولا من جهة الاستمرار على الشهوات.

فقد يغلبه في شهوة أو يغلبه في شبهة؛ لكن يستبصر فيعود في بصرة من جهة بيان الحق في الشبهة ومن جهة سلامة القلب من الشهوة بالاستغفار وبالإثابة.

فإن العلم يورث خشوع القلب ولا يورث قسوة القلب -والعياذ بالله- ومصداق ذلك في قوله -تعالى- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] يعني: أهل العلم أهل الخشية الحقيقيّة هم العلماء، هذا جاء على سبيل الحصر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] يعني: كأن البقية ليسوا بأهل كمال في الخشية، وخشية العلماء تختلف بحسب حالهم وبحسب ما هم عليه.

فإذن؛ إذا كان طالب العلم وجد في قلبه شيئاً من قُسوة القلب أو إقبالاً على ذنب أو تفريطاً في أمر الله فلا يرجع ذلك إلى العلم فيسيء الظن بالعلم أو ينظر إليه غيره فيجده كذلك فيرجع ذلك إلى العلم! حاشا وكلا؛ وإنما مرجع ذلك إلى شهوة خفية يلازمها، وإما مرض شك يكون معك،

وإما مرض شهرة وإما مرض جاه وإما مرض تكبُّر وأشباه ذلك.

حتى إن من أهل العلم من كان لا يرضى أن يخاطب إلا بالملك في الزمن الأول، كما قيل: ملك العلماء، وملك النحاة فلان، كان لا يرضى أن يسميه أحد بأبي فلان أو العالم أو العلامة حتى يقال: ملك كذا.

هذه شهوة خفية تتكون في الإنسان، وهذا لا يكون مردُّه عدم الخشية إلى العلم ولكن لأجل مرض في النفس وهذا يعالج بحسب ما هو عليه، أما العلم فإنه يورِّث الخشية والإنابة والرجوع إلى الله والأُنس به والاستغفار وملازمة التقوى، فإنه يجب أن يحاسب نفسه على ذلك، وأن يجعل العلم الذي معه حُجَّةً له في الرجوع إلى التقسيم.

* العلماء والأحداث:

قول البعض: أن العلماء هم أقلُّ الناس -أو أبعد الناس- تأثيراً في الأحداث إذا وقعت، وأنهم يرغبون في الصمت والسلامة، ويتركون توجيه الأمة!

هذا الكلام قد يدل على أن العلم يؤدي إلى التثبيط وعدم الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو قول كلمة الحق ونحو ذلك!! وهذا من وساوس الشيطان، ومن إلقاء أهل الأهواء لأجل أن لا يقتدي الناس بالعلماء! ولم يحدث هذا مرة -قطُّ-، بل كلما حدثت فتنة منذ زمن السلف إلى يومنا هذا، أو حدث ابتلاء فإنه يعيب الجاهل على من صمت بصمته!

وما أحسن كلمة الخليفة عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- حيث وصف الصحابة ومن سلف بقوله: «إنهم بعلم وقفوا وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا» بمعنى أنهم حين يتكلمون يتكلمون بعلم وحين يكفُّون عن الكلام وعن المقال: فإنهم يكفُّون ببصر نافذٍ في شرع الله -جل وعلا-.

وكان السلف في الفتن يُكثِرون الصمت ويُقِلُّون الكلام، ولذلك كانت

كلماتهم تُحفظ فتنقل، وأما كلام الخلف فهو كثير، وفي الفتن يكون أكثر على قلة العلم بنهج السلف الصالح في ذلك.

كلمات الإمام أحمد -مثلاً- كانت قليلة في فتنة خلق القرآن -والتي استمرت نحو عشرين سنة أو أكثر من عشرين سنة-؛ كانت قليلة؛ ولكنها حفظت ونقلت.

ولو كان في العشرين سنة التي استحكمت فيها هذه الفتنةُ كل يوم يقول كلاماً، ويُكرِّر ما يتناقل الناس لأصبح ذلك في مجلدات!

ولكن لم يكن هدي السلف ذلك، قال الإمام مالك -رحمه الله- وسئل: الرجل تكون عنده السنّة أيجادل عليها؟ فقال: لا؛ يخبر بالسنة؛ فإن قبلت منه وإلا سكت؛ لأن الواجب البيان أما إصلاح العباد: فهذا إلى الله -جل وعلا- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢].

وقد أشار إلى هذه المسألة الحافظ ابن رجب في رسالته المشهورة «فضل علم السلف على علم الخلف» وقال ضمن كلامه: «كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة»، وإذا وزنّا هذا بالميزان في وقت الفتن المتقلّبة فإننا نجده ظاهراً في أن الكلام القليل المؤصَّل المستدَلّ له هو الذي ينفع، وأما غيره: فإنه كثير؛ ولكنْ يُنْسي بعضه بعضاً، فإذا قال قائل: ما الذي قال فلان؟ نسي؛ لماذا؟! لأن الكلام كثير، وهو قد تكلم عشر مرات وعشرين مرة وثلاثين مرة... ونحو ذلك.

ولهذا نقول: إن العلماء يؤثّرون ويُغيّرون في الأحداث والفتن، لكن التأثير الشرعي والتغيير الشرعي.

انظر إلى قول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه -يعني: فليغيره بلسانه- فإن لم يستطع فبقلبه» وذلك من باب كراهية هذا الأمر، وهذا في ميدان التأثير والتغيير؛ فإنه ليس العبرة بأن يكون

هناك تغيير على وَفْق ما يريد صاحب الحق، لكن العبرة في أن يقول كلمة حق تبقى، وأن يؤثّر بحسب ما يعلمه من الكتاب والسنّة وهدي السلف.

وهذا يبقى ويستذكره الناس ولو بعد حين.

وكم مرت من فتن؛ بقي كلام العالم -فيها- هو المحفوظ، وهو الكلامُ الذي كان قليلاً مرجوعاً فيه إلى الكتاب والسنّة، ونُسي غيره، وهذا هو الذي حُفظ على مدار الزمان.

المطلوب من أهل العلم ومن طلبة العلم أن يكونوا مؤثّرين في الأحداث؛ لكن بما لا يُحدث فتنة، وبما لا يكون قولاً على الله بلا علم؛ لأنه يبتلى هو نفسه من جراء ما يقول من كلام لم يتق الله -جل وعلا- فيه؛ بمعنى أنه لم يجعله مؤصّلاً في كل كلمة؛ يحرص على أن تكون مختارة أو مما يعلم أنها حق في نفسها.

فعُلماء السلف يؤثّرون في الأحداث بمقتضى العلم الذي معهم، ولا يتأثرون بها؛ فربما كان قليل كلامهم أبلغ، وربما كان إعراضهم أبلغ، وكلٌّ بحسبهِ، وكلٌّ في مجاله.

لهذا؛ فطلبة العلم يجبُ عليهم في خِضَمِّ الأحداث -أو إذا تغيرت- أن يبتعدوا عن الاجتهادات الفردية، وإذا تكلم أحدهم أو قال فإنه لا يتجه هو إلى شيء فيعلنه في الأمة متفرِّداً ويعلنه في الناس!

وما أكثر -اليوم- وسائل الإعلام خاصة والإنترنت بصورةٍ أخصَّ.

بل ينبغي على طالب العلم -هذا- أن يتقي الله، وأن يتأخر شيئاً فشيئاً بحيث يستشير ويرجع، وتكون معه حجته فيما يقول.

* طول العمر:

ومن العوائق -أيضاً- في سبيل العلم- قول القائل: أن العلم يحتاج إلى عمر طويل، وإلى تفرغ وإلى زمن، وأنا ليس عندي القدرة على التفرغ، ولا على أن أكون كذلك!

هذا صحيح من جهة؛ من جهة أن العلم يحتاج إلى أن يبقى مع الإنسان؛ لكن لا تدري ما الذي يفتح الله -جل وعلا- لك.

العالم أنفاسه له، وخطى طالب العلم في مشيه: يُكْتَب له؛ فهو في عبادة عظيمة.

وكم من إنسان لم يأنس من نفسه في العلم قوة، ثم بعد ذلك طلب العلم، وصبر على ذلك، حتى بَرَزَ فيه.

وكم منهم من كان في الدراسة وسطاً أو دون الوسط، وكان غيره من الذين يأخذون تقديرات عالية كانوا أفهم وأسبق منه وأحفظ، لكن: بقي هذا طالب علم ينفع، وأولئك مَشَوْا في الحياة؛ فلم ينفعهم ذلك التميز والسبب في ذلك: أنه يعلم أن طلب العلم عبادة عظيمة محمودة.

وإذا عَرَف المطلوب حقّر ما بذل فيه، وبقدر الاستمرار تكون العاقبة.

لا تستخسر وقتاً تقضيه في جلسة علميّة، ولا تستخسر وقتاً تمضيه في قراءة كتاب أو في سماع شرح كتاب في شريط أو نحوه؛ لأن هذا يُورّثك حب العلم، ويُورّثك حب أهله، ويُسهّل عليك العلم شيئاً فشيئاً.

روى الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع»، قال: كان شاب يكتب الحديث، فعسر عليه فبينما هو عند صخرة أو عند حجر فإذا بالماء يتقاطر عليها شيئاً فشيئاً قطرة.. قطرة وقد حفر فيها، فقال: هذه عبرة لك يا فلان ليس قلبك بأقسى من الحجر، وليس العلم بأخف من الماء فرجع وصار من أهل الحديث ومن رواته، وهذا صحيح.

* احتقار النفس:

ومن العوائقُ في ذلك: أن يقول القائل: هل تظن أنك ستبلغ مبلغ الشيخ فلان؟ أو العالم فلان؟ أو الداعية فلان، أو فلان المشهور في العلم، هؤلاء فعلوا، وهؤلاء كان لهم كذا...

فيضرب الأمثلة من المشاهير لكي يحجزه ذلك عن الوصول إلى هذه المراتب العليا!

وهذا من وساوس الشيطان الكبيرة؛ لأن العلم في ذاته محمود، وفي مآلاته في الدنيا والآخرة محمود وليس الغرض من طلب العلم أن يكون المرء إماماً لكل الناس، أو أن يكون عالماً يشار إليه، بل إذا قصد ذلك ونواه فهي نية فاسدة، بل الغرض من العلم هو أن يكون ما بينك وبين الله عامراً، وأن تكون عالماً بالله، تعرف ربك -جل وعلا-، وإذا قرأت في الكتاب أو السنّة عرفت حق الله وحق رسوله ﷺ، وأنت بفهم الكتاب والسنّة أعظم طمأنينةً في هذه الدنيا ألا وهي طمأنينة الإيمان، وبخاصّةٍ في حال قراءتك للقرآن وأنت تعلم ما تقرأ، وسماعك للسنّة وأنت تعلم ما تسمع وأنت تصلي وتعرف الصلاة وأحكامها.

لذلك إياك والمخدّر الذي يأتي به الشيطان، ويثبّط عن العلم بأنك لن تكون مثل العالم الفلاني، ليس الأمر كذلك! الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً- هل كانوا على مرتبة واحدة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

هل كانوا جميعاً من أولي العزم؛ منهم خمسة؛ وهل الخمسة هؤلاء على مرتبة واحدة؟

ليس الأمر كذلك؛ فإذاً فالوهم في أن يقول قائل في طلب العلم إني لن أطلب حتى أكون كاملاً مدركاً، وليس العلم مقصوداً منه ذلك، إنّما العلمُ -نيته الصالحة- أن تنوي رفع الجهل عن نفسك، وتكون عالماً بالله، فإنه لَحَرِيٌّ أن يكون لك فضل العلم والعلماء، وهو أنهم مرفوعون لأن الله -جل وعلا- قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وبقدر ما تؤتي

من العلم يرفعُك الله -جل وعلا- درجات، ثم المرء يوم القيامة يُسأل عما عمل، وتقام يوم القيامة ألوية فمع من يكون الإنسان؟

يكون مع أشبه الناس به، وإذا كانت نفسه معلقة بفلان وفلان فإنه يرجى أن يكون معهم؛ لأن العلم وصلةٌ وسبيل في ذلك، قال -جلَّ وعلا- في الظالمين: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٢-٢٤] قوله: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم؛ من هم الأزواج؟ هم النظراء والأمثال والأشباه؛ يحشر الظالم مع مثيله القاتل، والمشرك عابد الوثن مع مثيله، وعابد الصنم مع عابد الصنم، وعابد النبي مع عابد النبي، فالظالم يُحشر مع شبيهه ومثيله؛ قال بعض أهل العلم: وكذلك أن أهل الإيمان يحشرون؛ الأمثال مع بعضهم بعضاً؛ لأنه يكون أكثر اطمئناناً لقلوبهم وأبلغ في ذلك.

بهذا نقول -في هذه الخاتمة-: يجب علينا -جميعاً- المُتحدِّث والمُحدِّث- أن نحرص على العلم النافع، وألا يشغلنا عنه شاغلٌ؛ لأنه هو الباقي، وأما عوارض الدنيا فتزول، والمرء بقدر مسيره فيه يعطيه الله -جل وعلا-، ويحاسب نفسه وبقدر محاسبته لنفسه يعطيه الله -جل وعلا- بفضله.

نسأل الله -جل وعلا- أن يقينا وإياكم العَثار، وأن يجعلنا من أهل الآثار، إنه سبحانه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الحلقة الثانية والأخيرة

قصف الرعد في نسف أغلوطات محاضرة (أما بعد) لعائض القرني

• بقلم: أبي المنذر أحمد بن جيلان

الأغلوطة الرابعة:

زعمه أن الإيمان لا ينقص في قلب حامله!!

قال صاحب الدكتوراة في السنّة !! في شريطه -الوجه الثاني-: «لكل شيء إذا ما تمّ نقصان إلا الإيمان في قلب حامله».

أقول: إن هذه زلّة خطيرة من الدكتور -هداه الله- وهي نفيه نقصان الإيمان في قلب حامله، فهذا خلاف اعتقاد أهل السنّة والجماعة، فإن المتقور في حقيقة الإيمان أنه: «اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية».

قال شارح «الطحاوية» -رحمه الله-: «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنّة والآثار السلفيّة كثيرة جدّاً ... [ثم ذكر بعضَ الأدلة وقال] وكلام الصحابة -رضي الله عنهم- في هذا المعنى كثير -أيضاً-، منه: قول أبي الدرداء -رضي الله عنه-:

من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه»[1] أهـ.

وقد حكى غير واحد من أئمة السلف الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه، ومن ذلك إمام أهل السنّة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- «أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ .. (فذكر أمراً منها): الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[2].

وقال الإمام البخاري -رحمه الله-: «لقيتُ أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[3].

وقال أبو عمر ابن عبد البر -رحمه الله-: «أجمع أهل الفقه على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[5] وبهذا يتبين مما سبق أن إجماع أهل السنّة والجماعة قائمٌ على زيادة الإيمان ونقصانه وأنهم متضافرون على قول واحد فيه.

وأما من خالف إجماع أهل السنّة والجماعة فهم على أصناف ثلاثة[6]:

الأول: قول من قال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص:

وهو قول أبي حنيفة ومذهب الجهمية والخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتردية.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٤٢).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» ص ٢٤١. ط التركي، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الإيمان» (ص ٢٩٣).

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٧).

(٤) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨) ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٧/ ٣٣٠).

(٥) «الفتاوى» (٧/ ٦٧٢).

(٦) انظر -بالتفصيل- رسالة (زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه) للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص٢٧٣).

الثاني: قول من قال: الإيمان يزيد ولا ينقص:

وهو مذهب الإباضية والنجارية والغسانية وطائفة من الأشاعرة ورواية عن أبي حنيفة.

الثالث: قول من قال: الإيمان يزيد وتوقف في النقصان:

نُقل هذا القول عن مالك ولا يصح حيث أن المشهور عنه القول بأن الإيمان يزيد وينقص.

ولا شك في بطلان هذه الأقوال؛ لمصادمتها للنصوص الشرعية القاضية بإثبات زيادة الإيمان ونقصانه في قلب حامله.

ومما يجدر التنبيه عليه أن كل دليل دلّ على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه -لزوماً-،وكذا العكس؛ وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص؛ ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، وصنيع أهل العلم يدل على ذلك حيث يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه.

وقد صرح بهذا المعنى إمام أهل السنّة والجماعة الأمام أحمد؛ فقال -رحمه الله-: «إن كان قبل الزيادة -أي: الإيمان- تاماً فكما يزيد كذا ينقص»[1].

ومن ذلك أيضاً صنيع الإمام البخاري -رحمه الله- في «صحيحه»، حيث قال الحافظ ابن حجر: «... ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحةً بالزيادة وبثبوتها يثبت المقابل، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة»[2].

بعد هذا؛ كيف يجرؤ الدكتور الذي ينتسب إليهم أن يخالف معتقدهم ويجهر بذلك قائلاً «لكل شيء إذا ما تم نقصان إلا الإيمان في قلب صاحبه» ؟؟!! إنها لإحدى الكبر.

الأغلوطة الخامسة:

تساهله في إطلاق بعض الألفاظ على الله وهي لا تليق به -سبحانه-.

---

(١) ذكره الخلال في السنّة (٢/ ٦٨٨) ح ١٠٣٠.

(٢) «فتح الباري» (١/ ٤٧).

إن من الأصول المقررة في شـــريعة الإسلام تعظيم الله -سبحانه وتعـالى-، وأنه لا يجوز للمسلم أن يتكلم عـن الله إلا بعلم شرعي من كتاب الله ومن سنّة رسول الله ﷺ وإن السامع لمحاضرة «أما بعد» يجد التســاهل الكبـير في هـذا الأمـر، حيث إن عائضاً -هـداه الله- مغرم بالأدبيات والأشعار[1]، ولا يتـأمل المعاني التي في طيّاتها ومن ثمّ يعرضـها على الكتاب والسـنّة، ممـا أوقعـه في أخطاء شنيعة وجلّها في صميم الاعتقـاد كما سبق بعضه، وتأتي البقية.

ولا يخفى علـى المسـلم أن العبـد مسؤول عن ما يتكلم به، بل قال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة -رحمـه الله-: «والكلمة أصل العقيدة فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء ...»[2].

ومن جملة تساهله في إطلاق بعـض الألفاظ علـى الله وهـي لا تليـق بـه -سبحانه-:

أولاً: إطلاقه وصف الغرام على الله -سبحانه وتعالى-:

قال المحاضر -هداه الله- وهو يخـاطب رب العالمين (وفي كتابه ص ١٢ ــ ١٣):

إليك وإلا لا تشد الركائب

ومنك وإلا فالمؤمل خائب

وفيك وإلا فالغرام مضيع

وعنك وإلا فالمحدث كاذب

فالذي يفهم من هذا البيت أن الغـرام الحقيقي هو في الله -سبحانه وتعـالى-، ومَن صرفه لغير الله فإن غرامه مضيَّـع لا قيمة له، فأعظم الغرام هـو الغـرام في الله!!! -وإنا لله وإنا إليه راجعون-.

ثانياً: إطلاقه إضافـة الهـوى إلى الله -سبحانه وتعالى-:

وقال المحاضر -هداه الله- (وفي كتابه ص ٣٨) وهو يخاطب الحبَّ بما يتعلق بالله:

---

(١) وكم من أقوام ألهاهم الشعر والأدب عن الوحي المطهر، فزلّت أقدامهم، وخالفوا منهج سلفهم، فها هو سيد قطب الأديب عندهم!! وقع في أغلوطات عظيمة وأخطاء شنيعة في توحيد الله والطعن بنبي الله موسى -عليه السلام- وكذا الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ . . . إلى غير ذلك من البلايا والرزايا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وغيره كثير، فاعتبروا يا أولي الألباب.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٤).

فيا حبّ زدني في هواه صبابةً

ويا قلبي زدني في هوى مهجتي حباً

لعلي إذا جئت المحصب من منى

نحرت فؤادي كي أفوز به قرباً

أقول: وإني أسأل فضيلة الدكتور هل لفظ «الغرام» و «الهوى» من الألفاظ الشرعية الواردة في كتاب الله أو في سنّة رسول الله ﷺ ؟

إن وصف الله بالغرام والهوى لم يعرف عند السلف الصالح؛ بل هو من المصطلحات الصوفية الذين زهدوا في المأثور والمشروع، وأسرفوا في المبتدع المبتور، ولقد جاء في الشرع ما يغني عن مثل هذه الكلمات كلفظ «المحبّة» كما قال -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤]، وغيرها من نصوص الشرع، ففي الوارد غُنية عن المُحدَث الذي لم يأت في النصوص، ولم يعرف عند السلف.

ثالثاً: إطلاقه بعض الأسماء على الله وفيها نظر:

قال في شريطه -الوجه الأول- (وفي كتابه ص ١٢): «وأنت الجواد الماجد»، قوله عن الله: «الماجد» فيه نظر؛ فليس هو اسماً من أسماء الله -سبحانه- إذ لا دليل عليه -أيضاً-.

وكما هو معلوم: أن أسماء الله توقيفية؛ لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف على ما جاء به الكتاب والسنّة؛ فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه -تعالى- من الأسماء؛ فوجب الوقوف في ذلك على النص.

وانظر كلاماً جميلاً لابن القيم -رحمه الله- في بيان ما يطلق على الله، والضابط في ذلك[1].

---

(١) انظر «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٢) الأمر السابع، وللاستزادة انظر «القواعد المثلى» للإمام ابن عثيمين -رحمه الله- (ص ١٣).

رابعاً: قوله «إن الله عيّن الداعية وهيأه واستأمنه»:

قال المحاضر -هداه الله- في شريطه الوجه الأول (وفي كتابه ص ٢٣) عن الداعية:

«إن الله عيَّنه، والواحد الأحد هيّأه، والرحمن استأمنه» !!

أقول: هل يصح إطلاق هذا اللفظ على الله: أنه يعيّن ويُهيّئ ويستأمن؟

وأين الدليل على ذلك من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ؟

والأولى أن يستبدل هذا الوصف بما ورد في الوحي بأن يقال مثلاً: إن الله اختاره .. -مثلاً-.

وإني على علمٍ بأن العلماء يقرون بأن باب الإخبار يُتوسع فيه، ولكن المحاضر -ألهمه الله رشده- زاد في توسعه زيادةً لا يحمد عليها -كما سيأتي -بعد هذا-؛ فمِن أجل هذا: وجب التنبيه.

الأغلوطة السادسة:

تنزيله المصطلحات العصرية على آيات الله الشرعية!!

إن من اعتقاد السلف الصالح المجمع عليه تعظيمهم لكلام الله تقريراً وتطبيقاً؛ إذ إنهم يؤمنون أن القرآن «كلام الله» الذي هو صفة من صفاته اللائقة بجلاله وكماله وعظمته.

ومن استمع لمحاضرة «أما بعد» فإنه ينزعج من الألفاظ المولّدة التي ابتُلي بها المحاضر، إذ قد أُولِعَ بها؛ حتى أودت به إلى أمورٍ مشينة من أقبحها -ولا حول ولا قوة إلا بالله- نسبته المصطلحات العصرية إلى آيات الله الكريمات.

وإليك بعض الأمثلة من أقواله -هداه الله- وهو يتكلم عن الداعية حيث يقول:

١- فاتورة تعبه مدفوعة في الآخرة من[1] ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى:٥] (وفي كتابه ص ٢٢).

٢- شيك أجرته مصروف من بنك ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف:٢٨] (وفي كتابه ص ٢٢).

---

(١) حذف الدكتور حرف «من» من الكتاب وقد نطق به في المحاضرة.

٣- سند أمواله موقّع عليه ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود:٧٩] (وفي كتابه ص ٢٢).

٤- يطمع في نجوم ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه ﴾ [المائدة:٥٤] (وفي كتابه ص ٢٣).

٥- يرغب في نياشين ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة:٢٥٧] (وفي كتابه ص ٢٣).

٦. راتبه ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُم ﴾ [فاطر:٣٠] (وفي كتابه ص ٢٥).

٧. مكافئته ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر:٨] (وفي كتابه ص ٢٥).

إلى غيرها من المصطلحات العصريّة؛ كـ (الهتاف، الترقية، أقواس النصر، الصور المعلقة !!، وثيقة التخرج، الجامعة، الشهادة) كل هذه المصطلحات نسبها إلى آيات القرآن الكريم!![1] أليس الواجب تنزيه الله عن هذه السفسطات التي لم يتفوه بها سلفنا الصالحون؟

الأغلوطة السابعة:

عدم ترضيه عن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-.

إن من جملة حقوق أصحاب رسول الله ﷺ علينا الترضي عنهم، كما هو دأب أهل الحديث والأثر، وتلك هي جادة السلف الصالح ترغيماً لأنوف الرافضة -أخزاهم الله-.

وقد كان الأولى بالمحاضر -هداه الله- ألا يغفل هذا الجانب حيث هو الداعية المشهور!! وصاحب الدكتوراة في السنّة المطهرة!!

فإنه قد ذكر جملة من صحابة رسول الله ﷺ في عدة مواضع، والمصيبة تكمن في أنه لم يترض عن واحد منهم البتة -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، ولو ذَكَرَ تارةً، وسكت تارةً: لكان هيّناً مقبولاً؛ لكنّه لم يفعل -البتّة-.

وممن ذكرهم -بغير ترضٍّ-:

١- أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في موضعين (في كتابه ص ٣٢) وكذلك (في كتابه ص ٣٦).

---

(١) في كتابه «أما بعد» ص (٢٤ - ٢٥).

٢- عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في موضعين (في كتابه ص ٣٢) وكذلك (في كتابه ص ٣٦).

٣- عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في موضعين (في كتابه ص ٣٢) وكذلك (في كتابه ص ٣٦).

٤- علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في ثلاثة مواضع (في كتابه ص ٣٢) وكذلك (في كتابه ص ٣٦ - ٣٧).

٥- عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

٦- بلال بن رباح -رضي الله عنه- في موضعين (في كتابه ص ١٤) وكذلك (في كتابه ص ٣٧).

٧- سلمان الفارسي -رضي الله عنه- (في كتابه ص ١٤).

٨- صهيب الرومي -رضي الله عنه- (في كتابه ص ١٤).

٩- ثابت بن قيس بن شَمَّاس -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

١٠- حسان بن ثابت -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

١١- عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

١٢- أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

١٣- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٢).

١٤- خالد بن الوليد -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

١٥- أبو عبيدة عامر بن الجراح -رضي الله عنه- (في كتابه ص ٣٧).

أقول: لماذا أغفل المحاضر -هداه الله- الترضي عن أصحاب رسول الله ﷺ -أجمعين-، ومن جملتهم الخلفاء الراشدون -جميعاً-، في جميع مواطن ذكرهم؟

أترك الإجابة لفضيلته، والتعليق على هذا الأمر للقارئ الكريم، رضي الله عن أصحاب نبينا أجمعين.

نشاطات

مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

(١)

جدول المحاضرات العلمية -الأول- لهذا العام (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) كل يوم سبت

المحاضرة	التاريخ	عنوان المحاضرة	المحاضر
الأولى	(١٤/محرم/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٣/٦م)	من أدب العلم	الشيخ علي بن حسن الحلبي
الثانية	(٢١/محرم/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٣/١٣م)	السنة وأثرها في تزكية النفوس	الشيخ أكرم زيادة
الثالثة	(٢٨/محرم/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٣/٢٠م)	غرور الأماني	الشيخ محمود عطية
الرابعة	(٦/صَفَر/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٣/٢٧م)	حجية السنة وشبهات المخالفين	الشيخ باسم بن فيصل الجوابرة
الخامسة	(١٣/صَفَر/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٤/٣م)	جهاد النفس	الشيخ حسين بن عودة العوايشة
السادسة	(٢٠/صَفَر/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٤/١٠م)	فقه التربية الربانية	الشيخ سليم بن عيد الهلالي
السابعة	(٢٧/صَفَر/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٤/١٧م)	من أخلاق النبيﷺ مع المخالفين	الشيخ محمد بن موسى آل نصر
الثامنة	(١٨/ربيع الأول/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٥/٨م)	أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب	الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان
التاسعة	(٢٥/ربيع الأول/١٤٢٥هـ)- (٢٠٠٤/٥/١٥م)	الإخلاص وأثره في تربية الأمة	الشيخ أحمد الخشاب أبو اليسر

(٢)

يَسُرُّ:

«مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية»

أن يُعلن لطلاب العلم:

جدول الدُّروس العلميَّة

الأيام	المكان	الموضوع	اسم المحاضر
السبت	مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية و الأبحاث العلمية	محاضرة عامة	لأصحاب الفضيلة المشايخ -دورياً-
الأحد	مسجد طلحة -النزهة	شرح «كتاب الاعتصام» -للشاطبي	الشيخ سليم بن عيد الهلالي
الاثنين	مسجد الفتح - المحطة	شرح (كتاب الإيمان) من «صحيح البخاري»	الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري
الثلاثاء	مسجد التقوى - الوحدات- حي الدبابة	تفسير القرآن الكريم	الشيخ محمد بن موسى آل نصر
الأربعاء	مسجد أبو جاموس - ماركا	الفقه - من كتاب «الوجيز»	الشيخ حسين بن عودة العوايشة
الخميس	مسجد السنة - ضاحية الحاج حسن	شرح النووي لـ«صحيح مسلم»	الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان
الجمعة	مسجد حذيفة بن اليمان - طارق- طبربور	صحيح السيرة النبوية	الشيخ أحمد الخشاب أبو اليسر

ملحوظة: موعد الدُّروس: بعد صلاة المغرب.

يَسُرُّ

مركز الإمام الألباني

للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

أن يُعلن بدأ التَّسجيل لـ(**الدَّورة الخامسة**):

«دورة الإمام الألباني للعلوم الشرعية واللغوية»

مِن تاريخ: (١٣/صَفَر/١٤٢٥هـ - الموافق ٣/٤/ ٢٠٠٤م)

إلى تاريخ: (٢٥/صَفَر/١٤٢٥هـ - الموافق ١٥/٤/٢٠٠٤م)

المواد العلمية واللغوية		
القرآن وعلومه	فقه الحديث	العقيدة
الفقه	أصول الفقه	التزكية
المنهج	اللغة العربية	

هيئة التدريس	
د. محمد بن موسى آل نصر	الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي
الشيخ/ محمود عطية	الشيخ/ حسين بن عودة العوايشة
الشيخ/ علي بن حسن الحلبي	الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان
الشيخ/ أحمد الخشاب (أبو اليسر)	الشيخ/ أكرم زيادة

*** تبدأ المحاضرات بعد صلاة العصر مباشرة ***

المكان: موقع «المركز»: طريق الرصيفة -مثلث المشيرفة- إسكان هاشم.

أو: طريق عمّان الزّرقاء- مقابل (جت: ١كم)- مسجد معاوية بن أبي سفيان. ت: ٠٥/٣٦١١٢٣٢

مَراجع الثَّورات، وثروة المُراجعات

● بقلم: أسرة التحرير

المتمعن فيما حصل في العقود السابقة في كثير من بلاد المسلمين (مصر، سورية، الجزائر) يجد أن أبرز الفتن وأظهرها اتَّخذت مظهر (الثورة) وألبست لَبُوس (الجهاد) الشرعي، ونزِّلت أحكامه عليها! «... يسمونها بغير اسمها».

ولهذه (الثورات) أسباب نفسيّة، وقد تكون لها (قناعات) عقدية، وتصوُّراتٌ منهجية، تترتب عليها مواقف عملية.

والمحور الذي تُرَكَّب عليه هذه الثورات: تكفير (السلطة) الحاكمة، بجميع -أو بعض- فِئاتها، اعتماداً على ظواهر بعض النصوص، وأخذها بصورة أوليَّة، دون مراعاة أصول الاستنباط السلفيّة.

وهذا الخطأ ليس وليد اليوم، ولا الساعة، وإنَّما هو قديم قديم، وقد وقع للتابعي يزيد بن صهيب أبي عثمان الكوفي، المعروف بـ (الفقير)، فإنه قال -فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٩١)- بسنده إليه: «كنت قد شغفني رأي مِن رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد الحج، ثم نخرج على الناس[1]، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم

(١) أي: بالثورة المسلحة.

-جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين[1] قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون؟! والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران:١٩٢]، و ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠].

فما هذا الذي تقولون؟!

احتجَّ هذا التابعي بآيات على مشربه، لُقِّنها على أنها تقرير مَعانٍ أُخذت بالاستقلال دون سائر النُّصوص، فنبَّهه الصحابي الجليل جابرٌ على خطئه المنهجي هذا، فقال له: «أتقرأ القرآن»؟ قال يزيد: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد -عليه السلام- يعني: الذي يبعثه الله فيه- قال يزيد: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج.

ثم نعت -أي جابر- وضع الصراط، ومرَّ الناس عليه، و«أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها».

قال يزيد -على أثر هذا الحديث، وقد نفعه الله به، وفَهِم الآيات السابقة التي احتجّ بها على ضوئه، ومعه، دون منافرة بين النصوص، ولا تضارب، ولا تعارض- قال: فرجعنا -أي: إلى الكوفة- قلنا: ويحكم أترُون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟

فنفعه الله -عزَّ وجل- باعتقاده صدقَ علماء الصحابة، وهذا أول شرط للانتفاع بالعلماء الربانيّين عموماً، ولا سيما في وقت الفتن خصوصاً.

قال يزيد -كما في «صحيح مسلم» أيضاً-: «فرجعنا، فلا والله ما خرج منا (أي: للثورة المسلحة) غير رجل واحد».

فالنفع لهؤلاء لا يكون إلا بمحاجّة العلماء وإزالة الشبه، ولا سبيل إلى إصلاحهم إلا بذلك، والعنف معهم يزيد من قسوتهم وعنادهم، ويلهب

---

(١) هم قوم امْتُحِشوا بالنار؛ فهي تصل منهم على قدر أعمالهم، ثم يخرجون منها إلى الجنّة

نارَهم، ويبعدهم عن الجادة على وجه أكبر، وبمساحة أبعد.

ومع وجود الحماسات والعواطف العاصفات، ودندنة الخطباء الحماسيين بضرورة إقامة (الجماعة المسلمة)، وتنفيذ مهمتها التي وُجدت مِن أجلها، وهي حمل لواء الحق، ووجوب الجهاد ضد (السلطات) التي تمنع ذلك، وإيراد النصوص مِن الكتاب والسنّة، التي ظاهرها تكفير هؤلاء! والاعتماد على فتاوى (المهابيل = المجاهيل) وتقريرات أنصاف المتعلمين، وتوظيف نقولات الأقدمين مِن العلماء بغير إنصاف، وغالباً ما يكون ذلك بعد التورط في أعمال العنف، أو التلبُّس بمقدماته، لتسويغ أحداث عنف قد اندلعت على وجه عفوي، وأحياناً بطرق مجهولة، قد تكون مِن عمل جهات مُغْرِضة، فتُشعل نيران الحميّة، ويظهر الغضب العام، ويفلت الزمام مِن بين أيدي العقلاء، فضلاً عن العلماء، ويفقد العقل دوره وسيطرته على مُجريات الأحداث، ويزول عن مكانه في هذه (الحضرة الجهادية الهستيرية)، تاركاً مكانه للاندفاعات العاطفية، والحماسات الشبابيّة، وللرقى والمنامات والإلهامات! فيجتمع عرس الشيطان بتزاوج هذه العناصر -معاً-، وإذا بالناس يستيقظون على هول الكارثة، ولا يفرقون بين الإسلام وما يمارس باسمه، فتتَّسع الفجوة، وتنوء النفوس عن حمل الأمانة، وتتراجع الدعوة إلى الإسلام الصحيح، كما عايشناه وعاينَّاه، وملأ سمعنا وبصرنا، لتظل الدعوة السلفيّة الغرّاء عاليةً راياتها، خفاقة أعلامها؛ بأمنها وأمانها وإيمانها.

وإلى الله عاقبة الأمور.

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

قسيمة اشتراك

الاسم: ....

البلد: .... المدينة: .... الحي: .... الشارع: ....

رقم المنزل: .... الهاتف: .... الفاكس: ....

العنوان البريدي: ....

☐ اقتراحات أخرى: ....

....

بالبريد المستعجل يرسل إلى المشترك كل من:

١- مجلة الأصالة ٢ - الإصدارات العلمية للمركز ٣- الإصدارات السمعية للمركز

قيمة الاشتراك السنوي:

- الأردن (٤٠) دينار - دول الخليج (١٥٠) دولار
- دول أوروبا (١٥٠) دولار - أمريكا (٢٠٠) دولار.

ترسل الحوالة إلى الحساب التالي مع إشعار إلى مركز الإمام الألباني:

- البنك الإسلامي الأردني – فرع طارق- الأردن.

رقم الحساب: ١١٢٥٩ - اسم الحساب: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي.

-Jordan Islamic Bank for Finance and Investment

Tareq/Tabarbour Branch , Amman ١١٩٤٧ Jordan

Bank Code : JIBAJOAMXXX

Account Number : ١١٢٥٩

Account Name : Salim Eid Mohammad Hilali & Moh 'D Mousa Hussein Naser

تلفاكس ـ مركز الإمام الألباني:٥٠٥٤٠٥٣ (٦ ٠٠٩٦٢).

Telefax : ٠٠٩٦٢٦٥٠٥٤٠٥٣ - www.albani-center.com - E-mail: albani١٤٢١@hotmail.com